الفصل الثاني
دروس مستفادة
من التجربة الجهادية المسلحة في سوريا

-1أساسيات :
يجب لفت النظر ونحن في مستهل تحليلنا للتاريخ والتجربة الجهادية التي مرت في الحقبة المنصرمة إلى نقاط رئيسية هامة تشكل قاعدة لوجهة نظرنا في التحليل وطريقته وهدفه.
أولا : فيما يخص الإخوان المسلمين وتجربتهم ومشاركتهم في هذه المرحلة, فيجب القول أنه باستثناء بعض الزعامات التي ساهمت سلبا في مجرى الأحداث, وتراوحت سلبيتها بين الخيانة والإجرام في حق الجهاد والمجاهدين, وبين الفشل والقدوة السيئة والتصارع على الزعامة ... وباستثناء بعض الأذيال في قيادات الوسط وربما القواعد التي كان لها أثر وموقف سلبي كالتحزب والبحث عن مصلحة شخصية, فبالإمكان القول إن معظم القاعدة تقريبا وجل قيادات الوسط وحتى بعض قيادات الدرجة الأولى, لا ت عتبر شريكة بشكل مباشر في هذا الدور السلبي الذي لعبه الإخوان المسلمون كتنظيم في تلك المرحلة الجهادية, وإنما تتعلق تلك المسؤولية المباشرة وتتحدد برقبة أشخاص معدودين بينهم, فحتى تلك الأخطاء غير المباشرة التي تورطت بها كل القاعدة وجل قيادات الوسط والكوادر الشابة كانت بنية سليمة والله أعلم, وانطلاقا من الثقة بالقيادة وبحكم التربية التي نشأت عليها تلك الجموع, وحتى تلك الإمعية وتبرير الأخطاء المتتالية كانت بنية حسنة دائما كالحفاظ على الجماعة, ووحدة الصف والإصلاح عبر القنوات التنظيمية .. ولقد كانت معظم القواعد وكثير من قيادات الوسط لا تدري ما يدور في القيادة وما يخطط, وكانت جاهلة بكثير من الأمور وعدت في آخر من يعلم حتى جاءت مأساة حماة, فكشفت التعفنات كلها دفعة واحدة وحصل الانفجار ... ولهذا لا بد من الإشارة إلى براءة إخواننا أولئك في قواعد الإخوان إجمالا وبعض قياداتهم الوسط وربما بعض رجال الطبقة الأولى من الطيبين, لاسيما في مواقع الرباط (العراق- الأردن). بل ولا بد من الإشارة إلى أن قواعد الإخوان وقيادات الوسط والكوادر الشابة أفرزت قيادات ميدانية وكوادر مدربة شاركت في العمل الجهادي بكل أبعاده مشاركة فعالة, وتركت لنا تراثا من التجارب في الإعداد والبرامج والعمل العسكري لا يقل في أهميته كتجربة عن ما قدم إخوانهم في الطليعة .. ولقد كان أولئك المخلصون مدفوعين إلى الجهاد بعزيمة صادقة, دافعين قيادتهم إلى العمل دفعا ... ولسوء الحظ ولا حول ولاقوة إلا بالله, فقد ذهبت تلك الجهود هدرا رغم وفرة الإمكانيات ..ولقد كانت تلك النوعية المجاهدة مثالا للتجرد وعدم التحزب وللجندية الحقة وعدم منازعة الأمر أهله, بل انصرفت للعمل بصمت وثبات جنان.
ولا بد من القول أنه لئن كان السكوت والتجاهل مبر ر ا بعدم المعرفة في وقت من الأوقات, فقد وضح الصبح لذي عينين الآن, وكل امرئ حسيب نفسه وما عاد الجهل بالأمور عذرا والله أعلم.
ثانيا : بالنسبة لإخواننا في الطليعة المقاتلة قيادة وقواعد, فوجهة نظرنا, وعبر المعايشة أيضا, أن القوم قدموا وسعهم ولم يكن لهم أن يساهموا بأكثر مما قدموا وهم تركيب مدني من طلبة وعمال .. وكوادر غير عسكرية وجدت نفسها وسط المعمعة بحكم تسارع الأحداث فبذلت جهدها وعملت على تطوير عملها من خلال المعركة .. ولقد أصابت وأخطأت على سبيل الإدارة والتخطيط

والممارسة للعمل العسكري والسياسي والإعلامي في قيادتها للعمل الجهادي, ولقد سلمها الله من التردي في حمأة الإنحراف الفكري والتورط في ما يجرح شرفها ونزاهتها, وانحصر دورها السلبي في سوء الإدارة والممارسة, وانطلاقا من حداثة التجربة وصعوبة الظرف وتكتل العدو والصديق ضدها في الأوقات العصيبة.

ولقد قدمت الطليعة -شكر الله سعيها- تجربة غنية ومثالا رائعا في الثبات والقدرة على إعطاء المثل في الفدائية والاستشهاد والاستمرار رغم العوز والفاقة, واستطاعت قياداتها أن تعطي المثل الحي الرائع على القيادة الميدانية التي تتقدم قاعدتها في طريق الاستشهاد, ولولا أخطاء أسلافنا أولئك ما كان لنا أن نقف موقف المحلل المستفيد, فشكر الله سعيهم وغفر لنا ولهم وأعاننا على تصحيح المسار ومتابعة الدرب بثبات الثابتين.

ثالثا : إننا لاننطلق من تحليلنا للتجربة السابقة لنبرىء زيدا أو نتهم عمرا فقد سجل الرقيب تعالى على كل موقفه, وهو أولى بحساب عباده, وإنما للإفادة من تجربة سلفنا من خلال تحليلها تحليلا موضوعيا لوضع النقاط على الحروف, للوقوف على أخطاء حصلت لتفادي الوقوع فيها, والإفادة من أساليب وأفكار أثبتت نجاحها للإفادة منها, ولأغراض لا تخفى على المتبصر ...فرحم الله شهداءنا وفك أسر معتقلينا وغفر الله لإخواننا وجازى كلا بما هو أهله.

مختصر تاريخ المرحلة السابقة:

ربما أنه من المفيد إعادة التذكير بتسلسل سير الأحداث كعناوين عريضة مما يعين على التحليل ويذكر بتلك التجارب, فقد كان تسلسلها كالتالي :

- (استلم النصيريون الحكم في سوريا عمليا, وبدأوا تركيز سيطرتهم كطائفة أقلية في عام 0791 برئاسة النصيري حافظ أسد.
- (بدأ مروان حديد وهو صاحب تجربة جهادية سابقة (5691) محاولته في الجهاد بمحاولة رأب الصدع بين شقي الإخوان المسلمين الذين كانوا قد انشقوا إلى ما سمي (جناح حلب حماة) أوالتنظيم الدولي و(جناح دمشق) بقيادة عصام عطار.
- (فشل مروان حديد في محاولة رأب الصدع, وفشل في إقناع القيادة الشرعية للتنظيم الدولي بتبني مخطط للإعداد والجهاد, فقرر تشكيل الطليعة كتنظيم عسكري مجاهد مستقل في مطلع السبعينات وبدأ بتشكيل نواياته في دمشق, حلب, حماة.
- (اعتقل مروان عام 5791 واستشهد رحمه الله اغتيالا في سجنه بعد أن عذب عام 6791.
- (بدأت الطليعة بعد مروان مرحلة العمل السري والاغتيالات لرؤوس النصيرين دون إعلان واستمرت كذلك من 6791-- 9791.
- (ك ش ف ت الطليعة للدولة عام 8791, وكان الكثير من عناصرها ذوى ازدواجية في تنظيم الإخوان المسلمين.
- (لاحقت الدولة الطليعة والإخوان الذي كشف جهازهم العسكري الصغير أيضا بفعل تداخل العمل والولاءآت في أواخر 8791 بالتعاون مع الأمن الأردني.
- (فجرت الطليعة العمل الصدامي في ربيع 9791, وانتقلوا لمرحلة العمل العسكري المعلن, وصعدوا وتيرته بعد عملية مدرسة المدفعية في حزيران 9791.
- (سارت وتيرة العمل العسكري للطليعة دون تخطيط استراتيجي على أساس البناء من خلال المعركة بوتيرة حسنة من أواسط 9791 وحتى أواخر 0891حيث تراجعت وصفيت في كثير من المواقع بفعل عاملين رئيسيين :

أولا : قطع الإخوان الأموال عن الداخل لأنهم لم يستطيعوا استيعاب قيادة المجاهدين, وسحبوا من استطاعوا سحبه من القواعد المجاهدة للخارج, وتدخلوا سلبا في أحداث بعض العمل العسكري الفاشل غير المنسق مع أهل الداخل.

ثانيا : لم يستطع المجاهدون تطوير عملهم الاستراتيجي, ووقعوا في أخطاء تنظيمية قاتلة كتوسيع دائرة الصدام, وتوسيع التنظيم أفقيا دون السيطرة عليه, وارتكاب أعمال غير محسوبة النتائج والوقوع في اللامركزية والاعتماد على إمداد الخارج ...إلخ.

- (كانت معظم قيادات الإخوان قد فرت منذ بداية الصدام, وشكلت في الأردن قيادة تحولت بفعل استثمار التبرعات الهائلة والإفادة من أعمال المجاهدين في مخطط إعلامي إلى تنظيم قوي في الخارج استوعب جموع الهاربين والمهاجرين الذين ضاق بهم الداخل, وأفادوا منهم, ودخلوا مرحلة المجد السياسي في الخارج.

- (في عام 1891 وبعد تراجع العمل العسكري ودماره في منطقة حلب والشمال الغربي والمنطقة الشرقية .... خرج عدنان عقلة للتفاوض مع الإخوان وكانت قيادة الطليعة قد آلت إليه.

- (حصل الوفاق بين عدنان عقلة (الطليعة) وجماعة عصام العطار (جناح دمشق) وقيادة تنظيم الخارج (التنظيم الدولي للإخوان المسلمين في سوريا) في (1891) وكان هشا ما لبث أن تحطم بفعل تراكم الإشكالات وكان صاعق تحطمه دخول الإخوان المسلمين الدوليين بشكل منفرد في مباحثات للتحالف الوطني مع الأحزاب العلمانية القومية برعاية العراق.

- (انصرف الإخوان لإعداد خطة للحسم بالتعاون مع مجاهدي الداخل (القيادة الميدانية حماة دمشق) وبعض الضباط المسلمين في الجيش الذين خططوا لانقلاب على أساس أن يقدم أهل الخارج الدعم والشباب المدرب.

- (كشف الإنقلاب واعتقل مراسل القيادة في الخارج (خالد الشامي) في أواخر 1891, وحوصرت حماة بعد علم الدولة بمركز ثقل العمل فيها, وأجبر المجاهدون على الصدام في 2891/2/2 ووقعت المأساة.

- (كان عدنان عقلة قد نزل والتقى قيادة الجهاد في حماة في آواخر 2891/1, واتفق معهم (بعد أن فوجيء بالوضع) على أن ينجدهم إن استطاع وأن يحاول إقناع الإخوان بنجدتهم أيضا, ثم خرج وفشل بالاتفاق مع الإخوان على التنسيق لأنهم اشترطوا عليه البيعة سلفا.

- (أعلن الإخوان النفير العام لنجدة حماة في 2891/2/8, واتفقوا مع العراق على منع عدنان من النزول مع طليعته للداخل.

- (قام الإخوان بعملية إعلامية موسعة وملفقة طيلة شهرين, جمعوا خلالها تبرعات هائلة, ثم أعلنوا حل النفير, وسقوط حماة, وإبرامهم للتحالف الوطني مع الأحزاب العلمانية, دفعة واحدة في خاتمة النفير وانفجرت الفضائح.

- (بدأت مرحلة هجرة القواعد من صفوف الإخوان, ودخلوا مرحلة من التآكل والتفسخ انتهت بانشقاقهم إلى جماعتين عام (6891) ترأس إحداها عدنان سعد الدين, وترأس الأخرى عبد الفتاح أبي غدة.

- (كانت الطليعة بعيد حماة قد حاولت بناء تنظيمها وأقامت صلات مع الداخل ثم انتقلت لمرحلة العودة, ولكن عدنان وسبعين من عناصره راحوا ضحية عملية خرق ناجحة للمخابرات في صفوفهم واعتقل عدنان ورفاقه على الحدود في سلسلة من الكمائن المنظمة, واستدرج بعض أنصاره ممن تبقى بشكل من الصلح الاستسلامي ودمرت الطليعة كتنظيم, ولم يبق منها إلا بعض الشراذم التائهة في الخارج.

-- (تشرذم عموم الشباب الذي شارك في الجهاد والرباط والإعداد خلال المراحل السابقة لايستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا بعد هذه الصدمات ولم يبق لهم أمل إلا بالله تعالى.

وهكذا انتهت الجولة السالفة من الجهاد العسكري في سوريا والتي ابتدأت بمروان وانتهت بدمار حماة وسقوط الطليعة وتصفية جيوب الجهاد في تنظيم الإخوان.

الباب الأول
ملاحظات حول التجربة الجهادية في سوريا

-ملاحظات على التجربة ككل:
أولا- غياب الاستراتيجية والتخطيط الشامل المسبق:
لم يكن لدى المجاهدين الأوائل عندما أقدموا على إرساء خط الجهاد العسكري أي تصور استراتيجي مبني على حساب دقيق لمعطيات الواقع وتوقعات المستقبل, فلم تؤخذ بعين الاعتبار كدراسة جدية حالة البلاد وجغرافيتها الطبيعية والسكانية, وتركيبتها الدينية والقومية, والسياسية, وطبيعةالنظام وتركيبته ونسبة قوتناالذاتية إلى قوته وطبيعة القوى الصديقة والمعادية ومعطياتها وإمكانية الإفادة منها ... إلى آخر تلك الأمور الهامة التي كان يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار وتبنى عليها طبيعةالعمل العسكري المناسب وطبيعة بنية التنظيم المطلوب ...إلخ, بل على العكس سار العمل بشكل شبه فطري قدرت فيه الضرورات دائما حسب معطيات الأمر الواقع وما لبث الأمر أن خرج من يد مخططيه بمجرد انفجار الأحداث, وأصبحت الأحداث تجر مخططيها عبر سلسلة من الضرورات واختيارات أهون الشرور. فلما خرج الأمر من يد الطليعة وأصبح بيد قيادة الخارج لم يكن نصيبها من العمل غير المخطط بأقل من نصيب المرحلة السابقة, فرغم توافر الوقت والإمكانيات والظرف وتأييد الجوار, لم تستطع القيادة أن تنتقل بالعمل إلى المستوى الاستراتيجي بل على العكس اعتمدت على معطيات الداخل, وبنت عليه أحلامها بالحسم. وغابت الاستراتيجية حتى عن برامج الإعداد والتدريب وكل شاردة وواردة ولم يكن العمل في الخارج إلا سلسلة من الاعتباطات وربما أن أهل الداخل ونعني القيادة الداخلية الميدانية في (حماة ودمشق والضباط) كانوا أول من فكر بإعطاء العمل منحى استراتيجيا, ولكن خطأهم القاتل بالاعتماد على معطيات الخارج ودعمه أخرج الأمر من أيديهم وآل بهم إلى الدمار لغياب هذا العامل الاستراتيجي المهم في التخطيط لحرب عصابات ثورية جهادية.
وهكذا ظلت الأحداث تتحكم بفاعلها وآلت كل المحاولات العسكرية رغم كل البطولات الفرديةالرائعة إلى فشل ذريع لم يستطع المجاهدون خلاله إلا أن يعطوا الدليل على قدرتهم على الاستشهاد.
ثانيا : تشرذم المخلصين المجاهدين في تنظيمات شتى وولاءات شتى .
لقد جاء فهم هذاالأمر متأخرا جدا ولا زلنا إلى حد ما بعيدين عن تصحيحه ودفع الأمر في مجراه الطبيعي بمعنى الولاء للحق, ولعل هذا أول واجب لإرساء خط جهادي متميز. لقد حفلت الساحة بفعل تداخل المبادىء والتنظيمات والولاءات بين من جاهد عبر تصور مسبق ومن د فع إليه خوفا, ومن فاء إليه طمعا, ومن سيق إليه اضطرارا .... إلخ, إلى تواجد تشكيل بشري معقد في قواعد التنظيمات التي أصبحت معنية بهذا الأمر ... وللأسف فقد تشرذم المجاهدون الصادقون أنفسهم أيضا في هذا السياق, وهكذا وجد مجاهدون مؤمنون بالعمل الثوري الجهادي المسلح, وفي نفس الوقت في صفوف تنظيمات شتى وتحت قيادات شتى مما أفقد جدوى هذه الجذوة المؤمنة في صدور أصحابها فرصة الالتقاء وتركيز الجهد في منحى واحد. ولقد ذهب الأمر إلى

أبعد من هذا فبفعل الحزازات وأجواءالحزبية نشأ في بعض الأحيان جو من الشحناء والحزبية والكراهية حتى بين شباب مجاهد يحمل الفكر ذاته والروح ذاتها والهدف ذاته. وما ذلك إلا لتواجده تحت قيادات مختلفة المشارب متضاربة الأهداف. عدا ما لهذا التفرق والشرذمة من منعكسات سلبية على الصعيد الديني والأخلاقي فقد كان تشرذم هذه القوى في مناحي متعددة عاملا استراتيجيا كافيا لعدم الإفادة منها في آخر المطاف.

ثالثا : العجز عن إيضاح نظرية جهادية ثورية وجملة أهداف واضحة على الصعيد الأيديولوجي:

)إقامة الحكم الإسلامي وحرب النصيريين) لقد كان هذا شعار كل من وجد في تكتل من التكتلات الإسلامية التي غدت معنية بذلك الصراع, وإن من أولى البديهيات التي يجب أن يعنى بها تنظيم ثوري طليعي يتصدى لقيادة الجماهير أن يرسى جملة من الأهداف والشعارات ليطرحها للجماهير وليكون عليها وحولها مدار استقطابه لها, وطرح نفسه كطليعة ثورية قيادية موجهة, وللأسف فقد فشل المجاهدون الحقيقيون في طرح مثل هذا الفكر والهدف والشعار بشكل واضح مبلور وموجه عبر خطة إعلامية مبيتة, على الأقل ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ... لقد كان قصارى ما فهمته الجماهير, أو من اهتم منها بالأحداث فقط لا غير, أن ثمة مجموعة من الشباب الإسلاميين يحاربون هذا النظام, ولعل غالبهم فهم أنهم يريدون إقامة الحكم الإسلامي, دون أن يتطرق لفهمهم ما هو شكل هذا الحكم ? ولماذا هذه الحرب ? وما مدى فرضيتها, ول م يدعون للمشاركة والموت في سبيلها ? لم يستطع المجاهدون أن يفهموا الناس على وجه الدقة والتحديد من هم? وماذا يريدون? ومالذي يحركهم?

)على العكس فإن من تطفلوا على هذه الحركة والثورة كان أول ما فعلوه هو أنهم تصدوا لأفهام الناس ماذا يريدون وما هي أهدافهم ... إلخ كأطراف التحالف الوطني مثلا) على الرغم من أن هذا الإيضاح كان ولا يزال أساس استقطاب الجماهير وتعبئة القواعد بالدافع الفكري والعقائدي لهذا العمل الخطير.

رابعا : ضحالة الوعي السياسي والثوري وانخفاض مستوى العلم الشرعي إجمالا:

باستثناء بعض الأفراد في القيادات المجاهدة وبعض القواعد فقد تميزت جل تلك الجموع التي تصدت لهذه الحرب الثورية الضروس بانخفاض مستوى الوعي السياسي لأبعاد هذه اللعبة الثورية الطابع, ولئن كان هذا نقيصة يمكن تجاوزها في القواعد فإن خطرها أكبر وأعظم عندما تكون إحدى صفات القيادة المتصدية لإدارة العمل, فإن الجهل بطبيعة هذا العمل الثوري ذي الجوهر السياسي البحت حيث إن الحرب بكل تفاصيلها ليست إلا أداة لهذه التوجهات السياسية الثورية التي يتبناها العمل, إن الجهل بهذا الأمر يترك القيادة عاجزة عن وضع أي مخطط ذي طابع استراتيجي متكامل على كل الأصعدة ... وحتى القواعد وقيادات الوسط يجب أن تنال حظها من الفهم, لأنها هي التي ستفرز قيادة المستقبل في درب يستهلك كوادره أولا بأول, ولأن فهمها لهذا الأمر يوضح أمامها مبررات توجهات القيادة في وضع تصوراتها ويجعلها واعية لدربها بشكل أكبر, إن هذا الوعي بهذا المفهوم كان ضحلا وقلما تحلى به الأفراد ممن سلكوا هذا الدرب على مختلف الأصعدة, كما أن مستوى العلم الشرعي إجمالا, ولا سيما في القواعد المجاهدة, وبعد أن طالت كوارث الاستشهادات المتلاحقة الشريحة الممتازة من نخبة المجاهدين في الصدمة الأولى, واعتمدت الفئات الإسلامية على الحشد الكمي للأفراد أصبح هذا المستوى منخفضا ... مما كان له الدور الأول في تلك المؤامرات التي مرت بكل سهولة, وأمكن التحكم بهذه القواعد التي أصبح لسان حالها يقر بالتسليم والثقة لبعض الرجال العالمين في الأمر حيث يفهمون فيما لا نفهم! ولذلك وقعت كثير من التجاوزات ومررت كثير من المؤامرات في ظل هذا الجهل شبه الشامل ... وباختصار لقد تميز جل أولئك المجاهدين بالإخلاص والاندفاع والاستماتة ... هذا صحيح ولكن مستوى الوعي على الصعيد العلمي الشرعي والسياسي كان ضحلا, وأقل بكثير مما يجب توفره في صفوف تجمعات جهادية ثورية.

خامسا : الاعتماد على الكم بعد أن ذهبت الضربة الأولى بالنوعيات:

بالنسبة للطليعة ومجاهدي الداخل, فقد ذهبت الصدمة الأولى وهي الفترة الممتدة من أواسط 9791 وحتى أواخر 0891 بصفوتهم في سلسلة مأساوية من الاستشهادات, ولذلك تورطت تلك القيادة بفتح باب التنظيم غير المنظم وغير المدروس أمام الجماهير لتوسيع قاعدتها, فتغلب الكم على النوع وظهرت ظواهر سلبية وشاذة مميتة فيما بعد, فقد كان العديد من الملتحقين بالدرب من غير المتعمقين في طريق الثبات والالتزام الإسلامي, ولم يكن يميزهم إلا الحماس والاندفاع الذي فتر بعيد تراجع الأحداث ولاسيما بعد الخروج خارج الحدود..

وعلى صعيد الإخوان فقد ذهبت ضربة الاعتقالات مع بداية تفجر الأحداث بالألوف من كوادرهم المعدة في حلقات التربية والتكوين, وفتحوا الباب بعد خروجهم خارج الحدود أمام استقطاب واستيعاب ما هب ودب, مما أظهر بوادر غير صحية في صفوف بعض القواعد, بوادر مؤسفة ومخجلة في بعض حوادث متفرقة. ولقد زاد في سلبية هذا الحشد الكمي أن الظرف في الداخل لم يكن مواتيا لإعداد هذه الجموع وتربيتها ورفع سويتها العلمية والشرعية والسياسية, وإعدادها إعدادا مناسبا بل ضروريا, أما في الخارج فقد كان فشل الإخوان على صعيد التربية والإعداد لا يقل عن فشلهم على صعيد العمل العسكري. وعلى الرغم من بقاء المئات من العناصر في القواعد, لم تفلح القيادة في إنجاح برنامج تربوي ناجع على مستوى القضية باستثناء دروس التربية الإسلامية الكلاسيكية المملة التي كانت تجري بين الحين والحين .. وبعض برامج التدريب النظري والعملي غير الكافي. هذا ناهيك عما وفره جو الحشد الكمي للمخابرات السورية من إمكانية دس العملاء في جو الصراع من أجل رفع العدد وتجاذب العناصر الذي حصل بين التنظيمات.

سادسا : ضعف الإعلام الداخلي والخارجي للمجاهدين :

سبق وأن تكلمنا عن فشل المجاهدين في بلورة فكرة يفهمونها للناس. جملة من الأهداف والشعارات التي كانوا متفهمين لها وعاملين في سبيلها, ولقد كان هذا طرفا من فشلهم الإعلامي, فباستثناء بعض البيانات التي كانت تصدر لأغراض بعينها لم يكن هناك مخطط إعلامي مبرمج لتعبئة الجماهير وتوسيع القاعدة الثورية للأنصار والمؤيدين.

ولما آل الأمر لقيادة الإخوان في الخارج أ همل الإعلام على صعيد الداخل نهائيا و اقتصر الإعلام على نطاق الخارج. ولكنه تورط في الدجل والكذب وتوج ذلك فيما رافق حماة وأحداثها وما دأبت عليه النذير من التهاويل, ولقد كان إعلاما إخباريا, أكثر منه إعلاما فكريا موجها لغزو قلوب الأنصار والمؤيدين في الداخل والخارج ولا تخفى نتيجة مثل هذا القصور على متبصر, قصور جعل أنهار الدماء تلك وجهود الألوف من المخلصين تذهب سدى ولا يحصد منها إلا نعوت الاستشهاد ... لقد كان درس فشل الإعلام الجهادي درسا لا ينسى.

سابعا : انتظار المجاهدين الدعم من جهات خارجية باستمرار وعدم الاعتماد على النفس :

كان خطأ قاتلا دمر الطليعة في الداخل, ثم دمر حشود المجاهدين في الخارج. ثم دمر القيادة الميدانية والإدارة العسكرية للضباط في حماة ودمشق (ما سمي بمخطط الحسم), لقد تورط كل المعنيين بإدارة العمل الجهادي بالاعتماد على إمداد الخارج المهزوز وغير المستقر, بل تعدى ذلك إلى الاعتماد على الأنظمة المعادية في الجوار (كالعراق). وتمددت الثورة واتسعت وارتفعت تكاليفها بشكل سرطاني غير مدروس, متغذية بما تدفق من الجوار من مال وسلاح ولوازم. وفي لحظات بعينها قطعت تلك الإمدادات أو خيبت الآمال كما حصل للطليعة ثم لقيادة حماة والضباط, فحصلت المأساة, لقد كان درسا من أعظم الدروس : (لايمكن لحركة جهادية ثورية تمارس حرب عصابات شاملة أن تعتمد في تمويلها وتسليح أفرادها وإعالتهم إلا على نفسها وما تستخلصه من عدوها, وعليها أن تضع المخطط لهذا الأمر بكل وضوح وتفصيل, وإلا فإنها ستتحول لورقة لعب سياسية بأيدي الآخرين فإن أبت فالقضاء عليها رهن قرار أهؤاء الآخرين) لقد كان درسا قاسيا جاء فهمه متأخرا وليعتبر معتبر.

ثامنا : التورط في شكل من أشكال حرب العصابات طويلة الأمد لا يناسب البلد:

لعل هذا أحد أخطاء التخطيط غير الاستراتيجي, أوعدم التخطيط بالأحرى, ووضع تصورات بناء على بنات الأفكار المحضة, ودون استمدادها من الواقع ومعطياته, إن نظرة متبصرة في طبيعة البلد وجغرافيته, وجغرافيته السكانية وتركيبة السكان الدينية والعرقية والنفسية ... ومعرفة ودراسة وضع وبنية النظام الطائفية الهرمية كافية لأن يتخذ الدارس لمخطط صدام عسكري مع هذا النظام المعادي أسلوبا آخر غير الذي اتخذ وسلك ومايزال يسلك من قبل من لا يعتبر ولا يتعظ بتجربة غيره.

لقد كان كافيا وممكنا في وقت من الأوقات, ومع بداية الأحداث الإطاحة بالنظام عبر ضربات مركزة تستهدف ركائزه الأساسية وشخصياته الفاعلة, ولقد أثبتت بعض العمليات الناجحة إمكانية ذلك رغم تعقد الظرف فيما بعد "محاولة اغتيال الأسد مرتين -- عملية تفجير مجلس الوزراء -- الآمرية الجوية -- المدفعية" وعلى العكس بدأ المجاهدون بتوريط أنفسهم بحرب طويلة المدى غير متكافئة, حرب استنزاف بين فقير ضعيف وقوي غني في بلد هذا حاله, فاستهدفوا صغار العملاء وأذيال النظام, ودخلوا تلك المتاهة .. لقد كان ذلك أحد نتائج العمل غير المدروس وغير الاستراتيجي .. ودرس آخر في هذه السلسلة المحزنة المفيدة من الدروس.

تاسعا : الانتقال للخارج فترة طويلة وخسارة الجماهير وإمدادها وتدني المستوى الديني والثوري لدى الأفراد:

لقد تعددت أسباب الخروج وطبيعتها من البلد وهي تتراوح بين الفرار من الزحف وبين الضرورة! وكل حسب حاله وليس هذا مجال بحثنا هنا .. ولكن انتقال الكوادر الجهادية للخارج, وترتيبها لحياتها في دار المهجر والرباط ولا سيما في العراق والأردن أوهجرها الساحة بكاملها للخليج والسعودية وأوربا ... أفقد الثورة احتكاكها بالجماهير وبالتالي قطع عنها المدد الطبيعي للإمكانات المادية والبشرية والمعنوية فتحولت لجسد معزول صغير بدأ مرحلة التآكل. لقد كان تآكلا على كل المستويات, فخسارة العناصر التي لا تعوض عبر العمليات العسكرية التي تمت من الخارج للداخل هي شكل من أشكال التآكل, وسأم بعض المجاهدين وهجرتهم لساحة الرباط والإعداد للبحث عن حياتهم تآكل ...إلخ . وشيئا فشيئا أصبح دار الهجرة يرتب وكأنه دار مقام لا مرحلة ضرورية استثنائية.

لقد ساهمت قيادة الإخوان المسلمين إلى حد كبير في إرساء هذا الوضع المؤلم, ووجهت الكثير من عناصرها للدراسة أو العمل أو الزواج في وقت من الأوقات ولم يكن في المنظور وضع مخطط لإعادة المجاهدين للداخل عبر برنامج مدروس, ولقد تورطت الطليعة نفسها في هذا إلى حد كبير, وإن كانوا يعذرون بالفاقة والحصار الذي ضرب عليهم, إلا أن الاتجاه العام للجميع كان هو استقرار كل من خرج من المجاهدين والمتضررين في الخارج وترتيب أمره على أنه مقام سيطول.

عاشرا : عدم الإفادة من التجارب الإسلامية والعالمية لحروب العصابات:

التاريخ مليء بالتجارب. والعلوم والتجارب الإنسانية كلها تتطور بناء على الرصيد الإنساني من مجموع نشاطات هذاالكائن الحي في مختلف المجالات, ولا تشذ الحروب, ولا الثورية منها -- عن هذه القاعدة, ولهذا وغيره دأب القرآن والسنة النبوية على دفعنا في هذا الاتجاه المنطقي من البحث والعبرة من التاريخ, طلب العلم واستقراء العبرة ... لقد أتاحت لنا الفترة التي تلت المأساة, مجالا للمطالعة والاطلاع على تجارب إسلامية وعالمية ثرية وجديرة بالبحث, ولقد مرت شعوب إسلامية وغير إسلامية بأحوال شبيهة بالتي مررنا بها, وكتبت عنها كتب ودراسات هامة لو كان قد اطلع عليها بعض القائمين بالأمر لأمكنهم العبرة والإفادة من خطأ الاخرين ليوفر عليهم التورط في مطبات شبيهة ... لقد كان هذا شكلا من أشكال الجهل الذي ميز شعبا جله لا يقرأ ولا يطلع, لقد أديرت كثير من الأمور على طريقة أعراب البوادي, بعشوائية وفطرية في حين كانت تجارب غنية شتى لأمم مسلمة وغير مسلمة مدروسة ومدونة وفي متناول اليد لمن أراد الاطلاع

والعبرة .. إلا أن أحدا لم يطلع وكان علينا أن نمر في هذه المتاهة لنكتشف بأنفسنا حتى أبسط المطبات .... وليتنا نتعظ من التجربة.

أحد عشر : التعامل مع الأنظمة كسند دائم:
لقد كان هذا شكلا من أشكال الاعتماد على الإمكانات غيرالذاتية الذي تحدثنا عنه, ولقد قدمت أنظمة الجوار كلها الدليل تلو الدليل على أنها لا ترقى حتى لأن تكون حليفا مصلحيا موقتا, فكلها أنظمة تخاف الإسلام, وتسجن أصحابه من إخواننا وأشباهنا في قماقم السجون خشية انطلاقتهم الماردة! ومن هذا المنطلق والواقع تعاملت معنا, ولقد تلقينا الضربة تلو الضربة, وحري بنا أن نكون قد فهمنا الدرس, لايمكن لعدو الأمس واليوم أن يكون حليف المستقبل وصديق الدرب ورفيق المعركة والناصر المعين, لقد كان درسا قاسيا لا تزال سلبياته تلا حقنا حتى الأن .
الثاني عشر : العمل العلني في الخارج:
لقد كان خطأ فادحا مزدوج النتيجة الخاسرة, لقد كنا في الداخل ندير معركتنا كتنظيم أو كتنظيمات سرية بحكم واقع المعركة, وما إن خرجنا للجوار حتى تبدل الحال وبشكل مريع ودونما سبب! لقد تحولت كل التنظيمات تقريبا إلى العمل العلني في ظل الأنظمة المضيفة, صحيح أن تلك الأنظمة (المعادية في واقع الحال) لم تكن لتقبل بضيافتنا كتجمعات سرية مخيفة, دون أن تفهم حدا مما نعمل وما نريد, ولكن كثيرا من السلوك العلني كنا في غنى عنه, كالكشف عن أعدادنا وأسماء عناصرنا ونوايانا وقدراتنا بل ومخططاتنا, ولقد ذهبت قيادة الإخوان المسلمين في هذا ولا سيما في العراق ثم الأردن إلى حدود بعيدة, وكذلك في مناطق أخرى لم تمارس تلك الحشود الهاربة أي نوع من أنواع السرية. كانت أخطر الأسرار وأفدح الفضائح والمشاكل الداخلية تذكر على الهواتف التي يعلم أصحابها علم اليقين أنها مراقبة, بل ويكلمون المراقب أحيانا! لقد كان الجنون بعينه! ولكن في تلك الظروف لم يكن أحد ليستمع لرأي رشيد! وهكذا أعطينا الأنظمة المجاورة العدوة معلومات كاملة وتفصيلية عنا في كل شيء ولا داعي للتعداد! فعرفت حقيقتنا واستخفت بنا وعرفت كيف تحاصرنا وتشارك في خنقنا, وما التنسيق الأمني الذي جرى في بعض المراحل بين الأردن وسوريا والعراق وغير ذلك بخاف على أحد..
ومن ناحية أخرى وجهنا طعنة نجلاء إلى التنظيمات الإسلامية الأخرى في الدول المجاورة, حيث أخذت أجهزة مخابراتها المهتمة بحرب الإسلاميين, الأصوليين الإرهابين المتطرفين الدينيين كما يسمونهم, أخذت درسا رائعا وتعلمت كيف تحاربهم وتوجه لهم الضربات من خلال دراستها لحركة أشباههم بل أقرانهم ولا حول ولا قوة إلا بالله..
الثالث عشر : قصور العمل العسكري الخارجي وفقدان القدرة على ردع العدو وأصدقائه:
لم يكن لدى الطليعة أثناء وجودها في الداخل أي وقت أو إمكانية للتفكير في أي عمل عسكري خارجي, وبعد أن توجهت للخارج فكرت في هذا بشكل جزئي, ثم صرف النظر عنه. أما الإخوان فقد شكلوا لهذا -بزعمهم- جهازا مستقلا سمي جهاز العمل الخارجي ولكنه كان ميتا كباقي الأجهزة بحكم فقدان النية على هذا العمل. وتحكم الشيوخ العجزة بكهرباء كل الأجهزة وقطعها في مرحلة النضوج, إن قصور المعنيين بهذا الأمر عن إعطائه حقه, أطمع النظام فينا ودفعه إلى حد محاصرتنا والاندساس في صفوفنا, وتوجيه فرق الاغتيال والرصد بين الحين والحين, لترصد قادتنا وكوادرنا, بل وذهبت لحد قتل عناصرنا وفعاليتنا في الخارج! أمام سمع وبصر كل العالم! ولم يكن ثمة قدرة ولا مخطط ولا نية على ردع العدو في الخارج.
صحيح أن ساحة المعركة هي سوريا ولكن مثل هذه القدرة على الردع كان ضروريا حتى نصرف العدو عن ملاحقتنا في مناطق أمننا وتحركنا وعقر دارنا الجديد .. ولم يحصل! من ناحية أخرى, تألب الكثير من الأنظمة العربية والإسلامية وغيرها علينا عبر دعم عدونا ماديا ومعنويا ومعلوماتيا! ويكفي أنه في الوقت الذي كنا نعاني فيه من القتل والدمار وأهوال الحرب

كانت أموال النفط العربي الغادر تتدفق على أسدنا النصيري لتتحول إلى طلقات تخترق صدور أبناء أمتنا المسلمين وإلى لبنات تبني سجون القهر والظلم حيث تنتهك أعراضنا !! لقد تدفقت من الخليج العربي الإسلامي مليارات الدولارات على نظام النصيري المحتل الذي أجمعت على كفره كل عمائم الخليج (وعقالاته) ...., لكنها المصالح ! وكان هذا بحاجة لحل وردع ولو بالتهديد ! ولم يحصل, لقد كان هناك موازين قوى ومصالح لا تمت إلى الجهاد بصلة يجب أن تراعى ! وهكذا كان التناقض وكان الدرس, إذ لم يكن لدى المجاهدين أي قدرة على الردع...!

الرابع عشر : غياب أي تصور عن مرحلة مابعد سقوط النظام ولو حصل بفعلنا أو فعل غيرنا:

لقد كان هذا أحد نتائج التخطيط غير المدروس أو اللاتخطيط بالأحرى ... لقد كنا نصارع عدوا تتحكم بوجوده عوامل متشابكة بعضها دولي وبعضها إقليمي وبعضها داخلي ... وكان من الممكن أن يسقط بفعلنا أو فعل غيرنا ... وكان مثل هذا سيولد ظرفا جديدا لم يكن بالحسبان ولم ت عد له أي خطة أو أي تصور ولكن كيف بمن لا يعرف كيف يخطط لحربه, أن يخطط لما بعد هذه الحرب! ولكنه درس آخر يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار كيف سيكون موقفنا من انقلاب مفاجئ ... من سقوط مفاجئ ... تعاملنا مع الجوار ... مع الكتل ... مع الجماعات ... كيف سيكون توزع قوانا ?? ... إلخ. لم يكن شيء من هذا في الحسبان...

الخامس عشر : عدم الالتفاف حول العلماء المخلصين الثقات والإفادة منهم:

لقد كان هذا خطأ من الطرفين, من المجاهدين والعلماء, لقد انفض العلماء الثقات عن هذا الدرب وغطوا في معتزلهم الاختياري ولا سيما في السعودية مقبرة العلماء النفطية وكأن شيئا لا يعنيهم. تاركين المجال لأنصاف وأرباع العلماء بل ومن لا يمتون للعلم الشرعي بصلة, أن يتصدوا لقيادة الحركة الإسلامية والجهاد, ويشرفوا على الدرب وما يحتاجه من إفتاء ودراية .. كما لم يعط المجاهدون من طرفهم هذا الأمر عناية كافية فيتوجهوا للعلماء مستنيرين برأيهم عاملين بمشورتهم معطينهم حقهم, فكان جفاء من طرفين وطلاقا نكدا بين العالم والعامل ولقد خلت الساحة من علماء عاملين, وكان لا بد من توحيد جهد العالم والعامل, العالم الثقة, والعامل المخلص, ولكن شيئا من هذا لم يحصل, وانحرف الدرب ووقعت التجاوزات وصحا العاقلون على هذا الخطأ المميت وعسى يكون في الوقت متسع للإصلاح.

السادس عشر : عدم الإفادة من كافة القطاعات الإسلامية في البلد على صعيد التعبئة في الثورة ولا سيما عشائر البادية والأكراد:

لقد كانت الثورة إسلامية الطابع, شمولية الأهداف, تعني كل مسلم في هذا البلد ولما كان امتداد الدعوة في الأصل امتدادا تركيزيا لا أفقيا, بمعنى أنه تركز في المدن وفي قطاعات محدودة من الشرائح الاجتماعية ولم ينتشر في كل الساحة, انعكس هذا سلبا على الحركة الجهادية نفسها, فأهملت قطاعات مهمة كان يمكن إدخالها في المعركة وبشكل حاسم وكلها قطاعات مسلمة ملتزمة إلى حد ما ومتعاطفة مع الإسلام إلى حد كبير ولا سيما الأرياف المحيطة بالمدن والعشائر في البادية, والأكراد في الشمال, وهكذا فشل المجاهدون في تعبئة هذه القطاعات واستطاعت الدولة أن تجند أغلبهم عبر الإغراء والتهديد ودنيا المصالح. كما وقع آخرون ولا سيما المسلمون الأكراد فريسة الأفكار المنحرفة الوافدة لتحقيق هويتهم التي يتنكر لها كل الوسط الظالم الجائر .. وخسرنا رافدا جماهيريا قويا, وكان أحد الدروس الناجمة عن عدم دراسة الساحة و الإفادة من معطياتها والتخطيط لها تخطيطا شموليا..

السابع عشر : عدم إمكانية تحويل التنظيمات الإسلامية الدعوية المدنية إلى تنظيمات عسكرية قادرة على المقاومة والدفاع عن النفس :

ولعله أثمن الدروس التي تعني التنظيمات الدعوية في الأقطار الإسلامية والعربية .. لقد انفجرت المعركة بشكل مفاجيء إلى حد ما, ولكن قطاعا واسعا من الإسلاميين كان يعرف ولا سيما قيادتها أن هذه المعركة واقعة لا محالة, ولم يتخذ أولئك القادة العظام أي استعداد ولا أي تخطيط وهكذا راحت كل تلك الكوادر ضحية الاعتقال, ولقد فشلت الكوادر التي سلمت في تعبئة أنفسا

ككوادر عسكرية قتالية, بل لقد حملت معها كل أساليب الدعوة السلمية المسجدية لتطبقها في العمل العسكري, وكان فشل الشيخ ذريعا عندما لبس بدلة الجنرال! إنه لعجيب أن نرى ونسمع بتنظيمات ترفع شعار الجهاد والموت في سبيل الله أسمى أمانيها ثم تترك قواعدها وعلى مدى عشرات السنين من التربية والتكوين عاجزة عن حمل السلاح ? فاشلة في إعداد ولو وثيقة سفر لكارثة مفاجئة ولو درهم مدخر ليوم عصيب.
لقد كانت تجمعات خروفية ضعيفة مالبثت أن أتت عليها سكين الجزار ... وحتى السنيين القليلة التالية أثبتت فشل إمكان تعبئة شريحة كهذه تعبئة عسكرية بشكل مفاجيء وسريع .. وهذا درس .. درس لكل التنظيمات الإسلامية التي تزعم الجهاد وترقب يوم الواقعة, لتعيد النظر في بنيتها وتركيبها ومدى استعدادها لذلك اليوم, وإلا فلتعلن الركون والمهادنة, ولا تزاود على نفسها وعلى المسلمين ثم تقدم تلك الألوف من الضحايا الواثقة بالشيخ ضحية للمشنقة أو المعتقل تحت الشعار "ذي السيفين!"
الثامن عشر : إلى جانب تلك الدروس القاسية كان لنا بعض العبرة المفيدة :
لقد أثبتت الأحداث إمكانية تعبئة الجماهير المسلمة لصالح ثورة إسلامية جهادية, بشرط إعطاء المثل والقدوة الحسنة في التضحية والإقدام وإثبات القدرة على مقارعة الطغيان, ولقد حملت سنة ونصف من الجهاد العسكري على علاته, حملت مئات الألوف من المسلمين على الانطلاق في الشوارع منادية بحياة الجهاد والإسلام وسقوط النظام والطغيان ومطالبة بالسلاح للمشاركة في شرف الجهاد, وقد أثبتت تجربة حماة أن الألوف المسلمة لبت نداء الجهاد وقاتلت جنبا إلى جنب مع إخواننا المجاهدين .. كما أثبتت الأحداث أن شعبنا شعب معطاء, سرعان ما أفرز قيادته المجاهدة التي انبثقت من داخل الشعب وأبرزت كوادر عسكرية رائعة على صعيد القيادة والجندية في صفوف هذا الشعب الذي تعمدت السلطات العميلة نائبة الاستعمار إبعاده عن السلاح والرجولة وأخلاق الفروسية الإسلامية ... ولكنه أعطى.
ومراجعة في سجلات أبطالنا وشهدائنا الميامين رحمهم الله تؤكد هذا ... وهذا ذخر ما بعده ذخر في شعب مسلم معطاء وأمل كبير بالله تعالى ثم بمستقبل عطاء مماثل.

(2ملاحظات على التجربة الجهادية للطليعة المقاتلة:
بالإمكان أن نستخلص إلى جانب ما مر ذكره من التجربة ككل وقد مر معنا عبر لمحة سريعة, بالإمكان استخلاص عبر خاصة من تجربة الطليعة كتجربة تنظيم مستقل مارس نوعا ما من أنواع العمل الجهادي الثوري العسكري المسلح:
--1العمل دون الاعتماد على تخطيط استراتيجي مسبق على تفجير الأوضاع, والعجز عن إمكانية التقاط الأنفاس وإعداد مثل هذا المخطط الاستراتيجي الشامل من خلال العمل, والوقوع فريسة جر الأحداث لصانعها.
--2عدم وجود توجه سياسي إعلامي خاص إلى جانب الجهاز العسكري في القيادة الطليعية فتح الباب أمام ضياع الجهود العسكرية كلها وعدم الإفادة منها كما يجب, بل وسمح للآخرين الإفادة منها و (تحويلها) لحسابهم الخاص.
--3عدم التمكن من بلورة الفكر الجهادي الخاص وتقديمه للقواعد المجاهدة والجماهيرالمؤيدة في الداخل والخارج كفكر واضح مستقل, تلخصه مجموعة من الأهداف والشعارات. فلم يستطع الناس أن يفهموا من هي الطليعة ? وماذا تريد? وماذا يحركها ? كما يجب.
--4بسبب غياب الاستراتيجية تولدت إحدى أهم المقاتل العسكرية وهي اللامركزية في إدارة العمل, وقد استتب هذا كأمر واقع وشبه مقبول, فأدار مجاهدو حلب قتالهم في حلب, ومجاهدو حماة في حماة, وأهل دمشق في دمشق وهكذا, مما أفقدها الإفادة من التنسيق وإرهاق القوة المعادية, لقد تحولت هذه اللامركزية فيما بعد من أيام الأزمة إلى اللامركزية على مستوى الأجنحة بل والمجموعات في المدينة الواحدة.

-- 5عدم القدرة على تطوير الأسلوب القتالي والعسكري عموما : هذا الأسلوب الذي بدأ ناجحا وأعطى ثمارا طيبة ونعني إسلوب قتال الشوارع وحرب المدن ونظام المخابىء والمواعيد داخل المدينة وطريقة التنقلات والتسليح, ولكنه غدا بعد بعض الاعتقالات وتمرس أجهزة قمع السلطة فيه أسلوبا قديما بحاجة إلى تطوير, وأدى الإصرار عليه إلى نكسات عسكرية مؤسفة.

--6الاعتماد على مساعدات الخارج من الأنظمة ولا سيما العراق ومن الإسلاميين لا سيما الإخوان أدى لقطعهم في آواخر 0891. والتسبب في دمارهم ثم التلاعب بهم في مرحلة العمل في الخارج كما مر معنا.

--7عدم القدرة على تعويض الكوادر المتربية والمدربة التي ذهبت في الجولة الأولى من الصدام بسبب عدم وجود برنامج مختص بهذا الأمر, وبفعل تسارع الأحداث بوتيرة مرعبة أفقدتهم القدرة على أي تطوير, ولم يفد فتح باب التنظيم على مصراعيه في تعويض هذا الكادر بل على العكس حمل من الأزمات والنكسات أكثر مما حمل من الفوائد وقد مر معنا.

-- 8تحريك دمشق بعناصر غير دمشقية : من حلب وحماة -- وقد أثبت هذا فشله وساعد النظام كثيرا في اكتشاف الغرباء من الشباب -وقد أزعج هذا التدخل- وكذلك تدخل الإخوان المشابه قيادة دمشق الجهادية وأوقعها في المشاكل والأزمات فضلا عن فشل التدخل عسكريا.

--9جنوح الطليعة في آخر أيامها بفعل الحصارالإخواني والعراقي وتآمر كل الجهات عليها ومالاقته من الظلم والعسف في الخارج إلى التطرف, هذا التطرف أصبح سمتا ملازما لكل من ينتمي إلى الطليعة ولقد لعب الإعلام الإخواني دورا رئيسيا في تضخيمه وتكبيره لاستخدامه ضدها, إلا أن الطليعة عاشت شيئا من هذا في الخارج, ولعل أبعد ماأوغلت فيه هوالقناعة التي توصل إليها عدنان عقلة وبعض إخوانه من كفر الإخوان المسلمين والجبهة الإسلامية ممن أفتى بالتحالف ورضي به طرحا وبرنامجا, وبكفر كل من قامت الحجة عليه وبقي على ولا ئه للقيادة وحلفها!

وعلى الرغم من أن كثيرا من منشورات التحالف وتصريحات الإخوان (بعضهم) ولا سيما عدنان سعد الدين الذي ذهب في إحدى مقابلاته للتصريح بأنه يعتبر أعضاء حزب البعث العراقي -اليميني العفلقي- مسلمين وأن قيادتهم قيادة متدينة, بل وقد صرح أكثر من مرة بقناعته بإسلام صدام حسين ونظامه! بل وعاتب الشباب الذين ينعتونهم بالكفر وطلب منهم الاستغفار والتوبة! على الرغم من أن كل هذا يعطي بعض الأدلة لقناعة عدنان عقلة ولكن التعميم الذي ذهب إليه كان إسرافا ولا شك.!

--01من التجارب والدروس الرائعة لتجربة الطليعة الجهادية نجاح القدوة الحسنة والمثل الأعلى الذي قدمته قيادتها في القدرة على التضحية والاستشهاد والإقدام أمام عناصرها, مما جعلها محبوبة من قواعدها مفدية بالروح, مطاعة في كل ماتأمر به لأنها شريكة في تحمل التبعات بل وأول من يتحملها..

إلا أن هذه النتيجة الرائعة لم تخلو مما يعكر صفوها فقد أورثت بعض قياديها فردية في اتخاذ القرار كما حصل مع عدنان عقلة في الخارج, حيث تمحورت كل الطليعة على شخصه الذي غدا إسطوريا مما أدى للإنهيار الشامل عند انهيار الزعيم ووقوعه في شباك الأسر فرج الله عنه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

--3ملاحظات حول التجربة الجهادية للإخوان المسلمين:

-1العمل دون مخطط استراتيجي مسبق في الداخل والخارج:

فقد دفع الإخوان المسلمين ثمن عدم دقة حساباتهم في الداخل لمعطيات الوضع وقرب نذير الإنفجار بسبب تنظيم الجهاد الطليعي الذي قام, وارتفاع و تيرة الحماس في صفوفهم.
دفعوا الثمن غاليا من شباب المسلمين المربى والمعد عبر عشرات السنين, وكان هذا أحد نتائج التصور الساذج غير الاستراتيجي للأبعاد السياسية للواقع الذي نشأ في أواخر السبعينات .... وفوجئت قيادة هذا التنظيم الدعوي السلمي بالحرب غير المخطط لها من قبلهم ولا المحسوبة نتائجها عليهم وكان الثمن فادحا..
وفي الخارج عندما آلت إليهم جموع الشباب في غالبيتها وأسلمتهم قيادها, وتراكمت مئات الملايين من الأموال تحت أيديهم وتوفر لهم الإعلام الإسلامي العالمي في خدمتهم وظرف سياسي إقليمي أمدهم بالدعم السياسي والعسكري ... إلخ من المعطيات الرائعة ... لم يتمكنوا من وضع أي مخطط استراتيجي لا على صعيد الحرب ولا على صعيد الإعداد ولا على أي صعيد اخر واستمر العمل عشوائيا (على البركة كما يقال) ولا زال كذلك وللأسف, ولم تفد الدروس المتلاحقة في تطوير العقلية المسيطرة على الأمور ودفعها في طريق التخطيط الشمولي, ولم تسمح تللك القيادات للكوادر الشابة بالعطاء واستلام زمام الأمور, وكانت الحصيلة سلسلة من الأفعال وردود الفعل باء ت كلها بالفشل التام.

--2اعتماد الهيكلية السابقة للعمل الدعوي السلمي لإدارة العمل الحربي والانتقال إلى إدارة تلك الحرب عبر هياكل ضخمة ذات بنية مدنية.
كما مر معنا في النبذة التاريخية, فقد انتقلت كل هياكل الإخوان وشخصياتهم الكلاسيكية من المرتبة الأولى للأردن مع بداية الصدام فار ة بأهلها ونفسها تاركة التنظيم جسدا بلا رأس ضحية للقتل والاعتقال, وشكلت في الأردن بعد أن توفرت لها كل الإمكانات, المادية والمعنوية والسياسية والبشرية والعسكرية جهازا تنظيميا ضخما يستند في إدارته إلى لجان وشعب وأجهزة تنبثق عن الاجتماعات اللانهائية التي كانت تعقد دون طائل! وهكذا أديرت الحرب من قبلهم بنفس الهيكلية التي أدير بها العمل المسجدي سابقا وبنفس الاعتبارات, حتى إن النظام الداخلي للجماعة والذي كان معتمدا في الداخل في ظروف عمل دعوي سري اعتمد نفسه ليطبق على لفيف شبه عسكري غير متجانس وكان الفشل ذريع ا.
ولم تستطع تلك الأجهزة التي كانت تنبثق عنها اللجان المعقدة بين الحين والحين إلا أن تشكل جهازا مدنيا شبيها بمؤسسة بنكية مصرفية أكثر منها بقيادة حرب عصابات, ولما فشل القادة في إعطاء المثل والقدوة في الإقدام لا في أنفسهم ولا في أبنائهم وذويهم لم يستطيعوا أن يشرفوا على سيل المخططات التي كانت توضع بين حين وحين وكان العمل مضحكا بقدر ما كان مأساويا مبكيا .. ونظرة واحدة في المجلس الحربي الذي ش كل لبحث أمر حصار حماة قبل انفجار الوضع بشهرين أو ثلاثة كافية لإعطائنا المثل, لقد تشكل المجلس من أربعين عضوا !! من تركيبة عجيبة من القادة والشيوخ والكوادر الشابة التي كانت لا تتفق على أساس موحد, وكانت أعجز من أن تتخذ قرارا واحدا في ظل الاعتبارات المعطاة حسب وزن محاور القوى الثابتة في تلك المرحلة المسجدية من العمل الدعوي! في ظل عدد كهذا تحقق ما قاله أحد خبراء الحرب (أن أكثر هيئات الأركان فشلا أكثرها عددا) هذا فضلا عن المزيج غير المتجانس.
--3أثبت العمل العسكري للعصابات من الخارج للداخل فشله عسكريا في التجربة السورية كما أثبت فشله في كثير من ثورات وتجارب الحروب, فقد اعتمد الإخوان على تكديس الشباب في بغداد (المعسكر) أو عمان (القواعد) وإخضاعهم لدورات تدريبية متدنية المستوى في فترات متباعدة, وعمدت القيادات العسكرية المتتالية والتي عهد برئاستها باستمرار لواحدة من تلك الشخصيات التقليدية المدنية -حتى من كانت معارضة للعمل العسكري في سابق تاريخها-

وحصلت عدة محاولات عبر تلك السنين الماضية لمحاولة إنشاء جيوب عسكرية تعتمد على تخطيط ودعم الخارج على مستوى المال والسلاح وتلقي الأوامر ... ولم تسفر تلك المحاولات اليائسة إلا عن الفشل والخسائر لتثبت حقيقة عسكرية ثورية راسخة, أنه لا يمكن إدارة حرب عصابات إلا من قيادة ميدانية مشرفة على عناصرها عالمة بأسباب قرارها السياسي والعسكري في كل لحظة في واقع متسارع من المتغيرات على أرض الثورة ومنشأها داخل البلد المعني بالثورة واحتكاكها بجماهيرها.

-- 4من الدروس الهامة التي يمكن الإفادة منها من تجربة الإخوان هو مآل ثورة ترجح عملها السياسي والإعلامي على عملها العسكري وتتخذه ميدانا لصب جهودها الرئيسية ... لا شك أن مآل ثورة تزعم الجهاد وتتبنى خط الصدام مع عدو شرس كالذي يجثم فوق سوريا, ثم لا تعد لهذه المعركة إلا برامج سياسية مطبوعة بورق جيد لماع, وبيانات موجهة بين الفينة والفينة لمؤتمرات القمة العربية والهيئات الإسلامية والدولية, لا شك أن مصيرها أنها ستتحول عبر الزمان بعد فقدان وزنها العسكري المؤثر الذي يفرض هيبتها إلى كتلة من اللاجئين السياسيين الذين يعبثون ببعض الجهد الإعلامي الذي لا وزن له ولا أثر, والذي لا يصل فيه حرف إلى الجماهير المعنية بهذه الثورة في الداخل, تلك الجماهير التي ألفت العديد من أشكال الأحزاب والمعارضات التي لم يكن عندها إلا الكلام بديلا وهذا ماكان ... فقد خسرت الجماعة وقيادتها عبر الوقت أوراقها العسكرية ولا سيما بعد حماة وتحولت إلى معارضة سياسية لاجئة لا حول لها ولا قوة ولا وزن.

-- 5المفاجئة بالأحداث واندلاعها ولم يكن التنظيم الدعوي السلمي الجهادي الشعار والمنهج قد أعد شيئا وقد راح كل ذلك الجهد الذي كدس خلال عشرات السنين بفعل تفجير غيرهم للأحداث هباء منثورا ..... ودمرت كل الجهود, ولا عذر في جهل الأمر, فقد كانت قيادة التنظيم عارفة بتوتر الأجواء وتسلسل الأحداث بل وتنفيذ الطليعة لأعمال الاغتيال, وقد سبق وتكلمنا في الدروس العامة الفقرة (71) عن هذه النقطة ولقد تأثر الإخوان بها على اختلاف فصائلهم أكثر من أي تجمع إسلامي آخر وكانت الخسائر فادحة.

--6فشل التربية والإعداد لتلك الحشود طيلة سنتين وهذا طبعا لأنه لم يكن بنية المخططين الزج بهذه الجموع في معركة تتخذ حرب العصابات أسلوبا لها ولا يمكن القبول بأن قيادة تنوي هذه النية تنحو بقواعدها ذلك النحو من التدريب ... ولذلك ضاعت الجهود الصادقة التي اندفع بها المخلصون يطورون برامج الإعداد والتدريب كلها سدى, لأنها لم تكن مبرمجة من قيادة عالمة بما تريد, بل كانت كثيرا ما تتعرض للإعاقة من قبل القيادة.

--7درس مهم من دروس تجربة الإخوان هو دراسة المزيج العجيب وغير المتجانس الذي تراكم في قواعدهم فقد كان عجيبا حقا, شباب بعضه ثوري يؤمن بالعنف والجهاد المسلح, وبعضه جر للمعركة جرا ولا يدري أين هو من تلك الزحمة وآخرون تحمسوا للحرب وز جوا بها ثم وجدوا أنفسهم وراء الحدود ولا يربطهم بحماسهم وسبب اشتراكهم شيئا فعادوا لسالف حياتهم وسلوكهم, ومتضررون لوحقوا لسبب أو لآخر, وقيادات وسط بعضها يريد متابعة السياسة وبعضها مدفوع للعمل بحكم قرار الجماعة وولائه لها, وآخرون بعيدون عن أرض الجهاد والرباط (يحششون) بأخبار الجهاد التي تنقلها إليهم النذير أو يسمعونها من خلال اجتماعتهم بأحد أولياء الله القادمين من قرب خط النار من دار الرباط إلى دول (النفط) أو إلى أوروبا .... إلى آخره من مزيج عجيب غريب لم يتوفرله قيادة واعية تحسن صهره بفضل ما توافر من إمكانات وتوظيفه في المعركة بل على العكس كان جوا مرضيا مناسبا للإشاعات والقيل والقال والخلاف والتحزب والالتفاف حول محاور القوى, ومرتعا لدس المخبرين والعملاء.

-- 8تركيز المسؤوليات بأيدي قليلة ونشوء محاور القوى حول الأشخاص لا حول فكر معين, سرعان ماتركزت المسؤوليات القيادية السياسية فيها والعسكرية بأيدي القلة القليلة من تلك الشخصيات التقليدية للجماعة وقد لعب الولاء أولا والقرب من محور من محاور القوى ثانيا

دورا رئيسيا في صناعة الكوادر الفاعلة من قيادات الوسط وهكذا أمكن أن نجد وأن نعيش واقعا عجيبا, كأن تتركز عدة مسؤوليات تحتاج الواحدة منها لجهاز متفرغ مؤلف من عدة أشخاص, وجدناها تتركز في يد شخص واحد, فقط لأنه خالص الولاء ولأن ماضيه الدعوي مشرف في نظر القيادة, في الوقت الذي كان من الممكن صناعة المئات من الكوادر من هؤلاء الشباب المكدسين في القواعد أو المعسكر, هذا التركز للمسؤوليات أفرز مع الوقت مرضا خطيرا كان جرثومه كامنا منذ أيام الدعوة في الداخل وهوالتحزب للشخصيات, وهكذا نشأت محاور القوى التي أفرزت المحسوبيات والظواهر العجيبة التي لا تستأهل تسجيلها هنا, مما يمكن قبوله في أجهزة سلطوية لا جماعة إسلامية ثورية تزعم الجهاد. ومحاور القوى هذه وفرت جوا ملائما جدا لانشقاق الجماعة الذي حصل في 6891 كما مر معنا.

-9انقسام القواعد الإخوانية بصورة عامة إلى فئتين مختلفتي الحياة متباعدتي التصورات, فئة مرابطة مجاهدة رهنت نفسها قيد الإعداد والرباط في معسكر العراق أو قواعد الأردن المدنية, رهن إشارة القيادة في التدريب والعمل بما في ذلك النزول للداخل أحيانا, وتركت التفكير في مستقبلها وبمصيرها جانبا لتلبي داعي الله, وجل أولئك من الذين كانوا قد شاركوا بشكل أو بآخر في الجهاد في الداخل عبر الطليعة, وفئة قاعدة خرجت مباشرة من الداخل لتستقر في السعودية والخليج وأوربا وغيرها من المواقع, باحثة عن مستقبلها في الدراسة والعمل والاستقرار العائلي, مع إبقاء هذا الانتماء لحركة جهادية عسكرية لا يكلف صاحبه شيئا وكان جل أولئك من قدماء الإخوان وبعض الجدد ممن لحق بالطريق ثم ابتعد .. ولقد بدا هذا الانشطار جليا إبان مأساة حماة ومابعدها وسرعان ما غدا هذا الصنف القاعد هو القاعدة التي تعو ل عليها القيادة في الانتخابات المتتالية في حين هجر معظم القسم الأول الساحة يائسا حانقا.

-01أثبتت تجربة الإخوان فشل محاولات الإصلاح المتتالية على الصعيد العسكري والسياسي من الداخل بعد أن آل الحال إلى ماآل إليه في ظل تركيبة تنظيمية وقيادية من الشكل الموجود في هذه الجماعة وقد مر معنا بعض بيان ذلك, وأصبح أي توجه صادق للإصلاح لا يجد أمامه إلا الابتعاد عن هذا الجو وإرساء خط جديد أكثر جدوى من الدخول في تلك المتاهات, ذلك أن طبيعة الإخوان المسلمين السوريين وتكتلهم حول شخصيات تاريخية فيهم لبعضها مركزا دينيا مشيخيا, ولبعضها الآخر وزن مراكز القوى التنظيمية أو الإقليمية, وتوزع القاعدة ولا سيما الخارجية المقيمة في الخليج أو أوربا وأمريكا لا تدرك شيئا من تشابكات الساحة أو تربطها بتلك الشخصيات مصالح مادية أو شخصية, ولا يؤثر عليها تصويتها في الانتخابات لزيد أو عمرو لأنها لا تدفع ضريبة القرار ... جعل محاولات الإصلاح الداخلي والتي فرض عليها -ولا أدري بأي سند شرعي- أن تكون ديموقراطية النهج يحق فيها للقاعد ما يحق للعامل المجاهد بل أكثر لأن بعض العاملين لايحوزون القدم الكافي للتصويت. كل هذه التركيبة ومنهج التمييز الانتخابي جعل التخلص من أعمدة النكسة في الجماعة أمرا مستحيلا وغير ممكن وهذا ما أثبتته السنوات لا سيما بعد مأساة حماة فالكل يعرف أن زيدا أو عمرا يعبثون في الجماعة فسادا وقد فقدوا أوراقهم, ثم تأتي الانتخابات بصورة شرعية أو غير شرعية لتفرضهم على الواقع مستخدمين كل ما يمكن من أساليب الضغط والترهيب والترغيب لوصولهم .... كل هذا أقنع حتى أصحاب المدرسة الإصلاحية بعقم إصلاح الجماعة داخليا ولا سيما في مثل هذا الظرف الشاذ.

-11أعطت قيادة الإخوان مثالا سيئا في القدوة على صعيد التضحية والإقدام بنفسها وأولادها, كما أعطت مثالا لا يقل سوءا في تهافتها على الزعامة والتصارع على التوافه والدخول في متاهات جانبية لا تمت للمعركة الدائرة بصلة, وبدا جليا أن كل محاولات القيادة التوفيق بين أقطابها وأركانها كان يؤخذ بعين الاعتبار مصلحة التنظيم كهيئة قبل مصلحة المعركة الطاحنة الدائرة كضرورة تفرضها مصلحة الإسلام والمسلمين.

-21درس التحالف : لقد تورطت قيادة الإخوان وورطت الحركة الإسلامية الممثلة بها في التحالف السياسي بينها وبين الأحزاب العلمانية المرتدة الأخرى ولا سيما بعث العراق وبقايا

الناصرية, والقوميين العرب. من الهياكل البائدة التي لا وزن لها ولا نفوذ في الساحة الحقيقية ... ولقد كان هذا الحلف بالنسبة للإخوان مصيبة على صعيد المصلحة الشرعية والسياسية, فمن الناحية الشرعية كان فرضه على القواعد والعلماء على حد سواء كأمر واقع أقدم عليه أشخاص معينون(1), ولم تقدم القيادة إلى الآن وعلى الرغم من مرور أكثر من خمسة أعوام عليه دليلها الشرعي الصحيح في إقدامها على مثل هذا الحلف مع المرتدين لا سيما في وعدهم بالمشاركة بالحكم بعد إسقاط أسد في حين تراكمت البحوث الشرعية العديدة والفتاوى الشهيرة تنفي حلة هذا المشروع.

إلا أن الفاجعة كانت في أن التحالف لم يكن في مصلحة الجماعة سياسيا حتى! فقدكان باختصار استبدالا لأبناء الجماعة وقاعدتها بصديق حلف مزعوم! فبسبب هذا الحلف هجر العمل كثير من الشباب لعدم استعدادهم للعمل تحت رايته بعد أن فشل الإخوان في إقناعهم, وهم الذين تربوا على أفكار سيد والمودودي ونشأوا عليها في المفاصلة والحاكمية وتكفير مثل هؤلاء المارقين العلمانيين..

ودرس التحالف هذا يحتاج إلى بحث مطول بمفرده ليس مكانه ههنا وهو مليء بالعبر وتكفينا الإشارة إليه وقد أصبحت نتائج هذا الحلف ودروسه غير خافية على مهتم بالأمر.

ولقد اقتنع جل شخصيات الإخوان بهذه النتيجة بأن التحالف لم يكن ليجوز شرعا ولا مصلحة بالشكل الذي تم عليه ولكنها (ورطة وحصلت) وليس الخروج كالدخول وقد أصبح كل بيض الإسلاميين في سلة بعث العراق وصدام!.

---

(1)كان في طليعتهم : عدنان سعد الدين, أبو أنس علي بيانوني, عبد الله طنطاوي, سعيد حوى. فهم المسؤولون المباشرون عن قيامه.

--31عدم التمكن من الإفادة من الكوادر الإخوانية العالمية التي كان الكثير منها مستعدا لدخول المعركة بإخلاص وتضحية إلى جانب الإخوة السوريين.

--41ومما يجب قوله من تجربة الإخوان أنه -وبصرف النظر عن النوايا (ولكل مانوى)- فقد لعب الإخوان المسلمون دورا إيجابيا في عيالة كثير من العوائل والمتضررين والأفراد وتقديم الدعم المادي والوثائقي والسياسي لهم وصيانتهم من الضياع كما تلقت بعض الأسر المنكوبة في الداخل مساعدة مادية من المال الذي تراكم تحت يد القيادة ... وكان هذا من القليل الإيجابي الذي قدمته قيادة الإخوان المسلمين في هذه التجربة السالفة المريرة..

-- 4ملاحظات حول التجربة الجهادية للقيادة الميدانية للمجاهدين والضباط في الداخل:
يجدر القول أنه ليس لدينا معلومات كافية متوفرة عن تجربة إخوتنا أولئك رحمهم الله, قليل منهم من بقي حيا, والأقل من كتب له الخروج ليروي ويدون ويشرح تجربتهم المهمة ولكن بإمكاننا وحسب ما وصل من صحيح أخبارهم أن نحمل عددا من العبر والدروس:
--1فشل وجود قيادتين لعمل جهادي إحداهما سياسية إعلامية في الخارج تملك حق القرار والتخطيط والأخرى ميدانية عسكرية تعيش واقعها المر وترتبط مع الخارج بالطاعة والحاجة.
--2فشل عملية الصدام المكشوف مع جيش السلطة المتفوق عددا وعدة بشكل غير منطقي -ولقد كان صدام الإخوة اضطرارا لا اختيارا- ولقد دفعوا ثمن الدرس وعلينا الإفادة منه.
-- 3فشل المراهنة على انشقاق الجيش, على الرغم من أن الغالبية الساحقة من جنوده هم من أبناء المسلمين, ولكن تركيبة القيادة من ضباط وصف ضباط كانت من الغالبية النصيرية, كما أن تفشي الجهل وعدم الوعي في صفوف الجنود بطبيعة المعركة, جعل أبناء المسلمين يقتلون أهليهم ويخربون بيوتهم بأيديهم وبأوامر الكفار النصيريين, وهذا واقع مؤسف ودرس عميق.
-- 4فشل الاعتماد على دعم الخارج, الذي دفع المجاهدون ثمنه فادحا, حيث لم يستطع الخارج أن يمدهم بأي عون في اللحظة الحرجة وراحوا ضحية هذاالخطأ الكبير بالاعتماد على سند لا يعرفونه تماما وليس بملك أيديهم.
-- 5فشل الاعتماد على دعم نظام مجاور (العراق) خذلهم وتنكر لوعوده مع عدنان عقلة حيث لم يمده بما وعده وترك إخوة الداخل لمصيرهم في اللحظة الحرجة.
-- 6أثبتت أحداث حماة إمكانية تعبئة الأهالي وتسليحهم وحسن تجاوبهم مع نداء الجهاد, وقد دفع الأهالي المسلمون الثمن فادحا -خمسة وثلاثون ألف قتيل- وخراب نصف المدينة وآلاف المعتقلين وعشرات الآلوف من الأرامل واليتامى ...ولعلهم أصبحوا أكثر توجفا من مثل هذا التعاطف وهذا درس يستأهل البحث.
-- 7ضعف الدولة في حال الصدام الموسع, فقد أضاعت الدولة صوابها خلال الأيام الأولى, وأفرغت مدنا هامة مثل حلب وحمص من القوات الحكومية التي نقلت حتى تجابه حماة المنتفضة, وكان بالإمكان السيطرة على تلك المواقع الهامة لو توفر وجود بعض المجاهدين بقدر معقول هناك, وهذه فائدة استراتيجية هامة.
-- 8يعد فشل الإنقلاب الإسلامي -المشارك بالحسم- أصبح من الصعوبة بمكان الاعتماد على انقلاب عسكري إسلامي إنطلاقا من الجيش, فقد صفيت كل الكوادر العاملة الفعالة من الضباط المسلمين تقريبا على مدى أكثر من عشرين عاما من حكم البعث والنصيرين في سوريا, وهذه مأساة يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار وكانت خاتمة المطاف في خسائر نا العسكرية في ذلك الانقلاب.
--9ثبت أن الإعلام العالمي والعربي معاد لقضيتنا, وأكبر دليل على ذلك السكوت العجيب عن أحداث بحجم أحداث حماة, وهذا درس آخر يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار.
هذه إجمالا أهم الملاحظات والدروس المستفادة من التجربة تلك بشكل عام والتي ينبغي أن تكون محل دراسة مفصلة وعناية منا ومن كل عازم على السير في هذا الدرب لأخذ العظة والعبرة من تجربة إخوتنا فيما مر . ولعل فيها قيمة هائلة لإخوان لنا في أوطان أخرى يتصدون لقيادة درب الدعوة ويرفعون راية الجهاد.
فالساحة الإسلامية متشابهة والعدو واحد, والمعركة واحدة وستتشابه ظروف الحرب عموما وفي تجربتنا فائدة كبرى والله أعلم وعليهم دراستها والإفادة منها والله الموفق وهو يهدي السبيل.

الباب الثاني
دروس مستفادة حول مشاكل
العمل الجهادي المسلح
إن نظرة واقعية إلى حالنا وما آلت إليه, إلى دعوتنا ومسارها في الماضي والحاضر وتطلعاتها للمستقبل وإلى حال الطغاة وأسيادهم, وما يرصدوه لحربنا كل يوم من عناد وعتاد وأموال ورجال, وإلى أساليبهم الوحشية اللامنضبطة في حربنا والقضاء علينا, تفرض على من يتصدى للدعوة إلى الله ولا سيما في هذه الآونة أن يعيد الحسابات وأن يتقي الله في هذه الأمانة وهذا الميراث العظيم الذي آل إليه.
إن نظرة واقعية من هذا الشكل تعطينا النتيجة الحتمية : أن المعركة بين الدعاة والطغاة قائمة, وأن الواقعة بين الطغاة والدعاة واقعة يوما لا محالة, إن لم يكن اليوم فغدا, هذا طالما أن الدعاة يعزمون السير فعلا لإقامة الحكم الإسلامي الذي يد عون العمل له .. ولقد فرض على بعض الدعاة أن تكون معركتهم قريبة في حين يمكن لغيرهم في مناطق أخرى أن لا يستعجلونها, ولكن على الكل أن يفهموا هذه الحقيقة, أنها معركة واقعة لا محالة وأن عليهم إن كانوا لا يريدون أن يكونوا هم ودينهم والمسلمين ممن تصدوا لقيادتهم الضحية والمسكينة.
أن يدرسوها وأن يخططوا لها ويعدوا لها حتى يدخلوها وهم على بصيرة من أمرهم, وعلى استعداد تام ضمن المستطاع الذي أمرهم الله به.
وليس عبثا إن سمي الجهاد في سبيل الله جهادا فهو يعني العناء والنصب وبذل الجهد, ولا بد لهذه الحرب -وأعدائهم من الطغاة وأسيادهم على ماهم عليه من القوة والعدد- من أن تكون حربا طويلة الأمد غالبا, ولعل أفضل أساليب ممارستها في تلك البلدان والمناطق هي الحرب الجهادية الثورية في سبيل الله كوسيلة أثبتت نجاحها في مقاومة مستضع ف فقير لمستكب ر مدجج بالسلاح والعتاد, ولا بد من الإعداد لها بكل روية وتفكير وبذل وتصميم, ويجدر بنا قبل كل إعداد أن نمعن الفكر في هذا الأسلوب, ونتعرف على طرف من مشاكله .
ولقد كان لنا في سوريا الشام تجربة طويلة نسبيا خلال الخمس عشرة سنة الماضية في حرب جهادية ثورية مسلحة, كانت خاتمة الجولة الماضية فيها خسارة مؤلمة ... ولكنها كما أسلفنا قدمت ذخيرة رائعة من التجربة والدروس وغير ذلك, ولا بد لنا إن أزمعنا الثبات والمسير على الطريق من أن ندرس هذه التجربة ولا سيما ما اعترضتنا فيه من مشاكل ليكون لنا خبرة وعبرة, ولإخواننا المسلمين الدعاة المجاهدين في كل مكان درسا مفيدا إن شاء الله.
وتسهيلا للدراسة يمكن تصنيف بعض هذه المشاكل التي تعترض المجاهد في هذه الحرب الجهادية الثورية في ثلاث مجموعات رئيسية :
- مشاكل وقضايا العمل العسكري الجهادي الثوري.
- مشاكل العمل السياسي والإعلامي الجهادي الثوري.
- مشاكل الصف الداخلي للتنظيم الجهادي الثوري.

ولا ندعي أننا سنأتي على كل شاردة وواردة من مشاكل هذا الدرب الذي تبدأ مشاكله بمجرد العزم عليه ولا تنتهي مادامت المعركة قائمة, ولكننا سنحاول ذكر أهم ما اعترضنا من مشاكل في تلك التجربة الثرة المتنوعة الغنية, وبشكل موجز لعله يفي بالغرض إن شاء الله .
فالحرب الثورية شكل من أشكال الحرب, بل شكل صعب من أشكاله, لها ظروفها الخاصة ومعطياتها وأساليبها وقواعدها واحتياجاتها, كنوع متميز من الحرب التي أثبتت نجاحها في كل مكان قامت فيه تقريبا, ولكونها حرب تعتمد في الدرجة الأولى أكثر من أي أشكال الحروب على العنصر البشري وطاقته العقلية والنفسية والروحية والبدنية, فإنه يجب القول أن من تخيلها دربا سهلة عشوائية أو تصور أن بإمكانه خوض غمارها, بل التخطيط لها وإدارتها, دون أن يتحلى بقدر عال من الفدائية والعزم والثبات والإصرار وسعة الأفق والصبر وقوة الاحتمال ... فأولى له أن يبحث عن طريق آخر غير هذاالطريق ربما يكون أكثر إقناعا له, كفنون الخطابة مثلا أوالعمل الفني والأدبي تاركا الطريق لأهله. لأنه بتصديه له وعدم كفاءته وعدم عزمه يرتكب جرما ذا حدين .. هماالفشل وإعاقة تقدم الكفء ليشغل المكان ...
فهذه الحرب هي صراع سياسي أيدلوجي في الأساس, وهذا جوهرالأمر, طابعه عسكري في الأسلوب يتطلب نوعا خاصا من العمل المنظم. نسأل الله أن يجعل فيما مر من تجربة ذخر لنا ولكل مجاهد حمل سلاحه عازما على المسير والله الموفق.

أولا -- من مشاكل العمل العسكري المسلح:
--إمشكلة اللامركزية في إدارة العمل العسكري:
تحتاج إدارة هذا النوع من المعارك حتى تحقق أعلى مردودات النجاح إلى ممارسة القيادة العليا للحرب إدارة مركزية على مستوى الاستراتيجية والتخطيط في تسخين منطقة وتبريد أخرى, وضبط التناغم بين القوات والصنوف والأسلحة في أكثر من مكان. وتأمين احتياجاتها لتحقيق أعلى مردود عسكري ممكن لهذه القوات. ولا بد لها في هذا المستوى وما شابهه من أن تكون مركزية القرار, في حين تتطلب وأكثر من أي نوع آخر من أنواع الحروب الأخرى إعطاء قدر كبير جدا من اللا مركزية في الإدارة لقواد المناطق والقطاعات والأجنحة والمجموعات أحيانا, للتخطيط لعملهم الميداني الجزئي بحرية كاملة . ولقد أثبت هذا الأسلوب نجاحه وضرورته في كثير من حروب العصابات القديمة والمعاصرة في العالم.
ولكن وبفعل سوء التخطيط أحيانا, أو بفعل انفجارالأحداث بشكل غير مخطط له, ي س تدرج المقاتلون أو يضطرون إلى تخطيط عملهم بشكل غير مركزي شبه تام حيث تقتصر الاتصالات بين القيادة وأفرادها على كل المستويات على تأمين بعض الدعم أو الاطمئنان وحس ب. وسرعان ما ينتشر الجيش المعادي وعيون النظام على الطرقات الرئيسية ومفارقها وحول المدن. زائدا في العزلة الحاصلة, لتبرز لكل موقع قيادته التي ماتلبث اضطرارا أن تدير معركتها حسب معطياتها الموقعية الجزئية. وتتسارع وتيرة الحرب التي يتحكم النظام بالمبادرة فيها وتعزل التجمعات الثورية عن بعضها وتنعدم إمكانية التنسيق التي قد تفتقد في الحالات السيئة حتى بين الأجنحة والمجموعات. وهذا ما حصل مع المجاهدين السوريين في آخر أيام تراجعهم العسكري كنتيجة للامركزية التي ميزت العمل بكل مراحله.
ورغم أن العمل قد يدفع إلى اللامركزية هذه دفعا بفعل الظروف, إلا أن كل ضريبة قد تقدم لاستعادة زمام القيادة المركزية على المستوى الاستراتيجي تبقى أقل من الضرائب الفادحة التي يولدها انعدام مثل هذه القيادة.
ويبقى على قادة القطاعات أن يكسروا الطوق وأن يحاولوا باستمرار الحفاظ على مثل هذه الاستراتيجية الهامة ونعني الإدارة المركزية على مستوى القيادة العامة في مستوى التخطيط والإدارة الشاملة.

ـ 2مشكلة التنظيم والتعبئة واختيار العناصر وشحنهم بالفكرة:
دائما تبدأ الانتفاضة الثورية بكوكبة صغيرة من الشباب العازم المؤمن والمصمم على قضيته والمستعد للتضحية في سبيلها, وسرعان ما تلتف الجماهير حول هذه الطليعة الثورية إن هي أحسنت بلورة فكرة جسدت مطالبها ومطامحها وأحسنت تقديم نفسها كقدوة مستأهلة للقيادة على مستوى التضحية والإدارة .. ويتمدد التنظيم ويتوسع حاملا معه كل سلبيات وإيجابيات هذا التوسع.
ومهما كان التنظيم الطليعي قادرا وكبيرا وكثير العدد, فإن حربه تبقى بالنيابة عن الجماهير التي يجب أن تكون بالنسبة له كما قال أحد كبار منظري حروب العصابات (البحر الذي يجب أن يسبح فيه التنظيم الطليعي كسمكة) فهو مصدر معلوماته وتموينه وأفراده والجو العام الذي يستخفي فيه .. ولقد نجحت كل حرب ثورية أحسنت تعبئة الجماهير لصالحها كالجزائر والصين وفيتنام.
وفشلت كل حرب ثورية أخفقت في ذلك وع زلت عن جماهيرها لسبب من الأسباب كحرب العصابات التي قامت في ماليزيا والفلبين واليونان(1) .. ونتكلم----------
---

(1)راجع الكتاب القيم ؛حرب المستضعفين« - مترجم.
في هذه الفقرة عن موضوع التنظيم والتعبئة واختيار الأفراد من الجماهير لضمها للتنظيم, وغالبا ماتكون الجموع ولاسيما شريحة الشباب (51-03 سنة) مندفعة نحو العمل تريد المشاركة, ويبرز هنا دور القيادة الطليعية للعمل في تنظيم هذا الأمر والسيطرة عليه للإفادة منه والتقليل من أخطاره التي منها دخول عناصر غير كفؤة على كل المستويات أو اختراق النظام المعادي للتنظيم بعناصر مندسة, أو تمدد التنظيم تمددا لا يسمح بالسيطرة عليه فتعم الفوضى وتكثر الخسائر التي يكون التنظيم في غنى عنها ...إلخ.
وقد حصل أن أعلن عدنان عقلة في بيان صوتي مسجل في منطقة حلب وما حولها استعداد الطليعة لتسليح وتعبئة كل مؤمن من أبناء الشعب, بعيد الانتصارات الرائعة التي أحرزتها الطليعة والتأييد الجماهيري الكاسح. وقد نحى كثير من القواد الميدانين للطليعة (وهي التنظيم الوحيد الذي عبأ الجماهير خلال الأحداث) هذا النهج أيضا .. فأدخل في التنظيم مئات الشباب خلال أشهر قليلة, وكانت النتيجة خسارة فادحة. إذ أن التنظيم اتسع اتساعا لا يمكن لميزانية الطليعة أن تسيطر عليه على مستوى التسليح والمعدات ولا يمكن لها أن تفيد منه في التخطيط التعبوي على مستوى التدريب والمشاركة, ولقد كان معظم الداخلين شبابا مخلصا مندفعا من الأغرار شكلوا صيدا سهلا لأجهزة الأمن والمخابرات.
ونظرا لطبيعة التنظيم الهرمية البناء, فقد أتت حملات الاعتقال وتسلسل الاعترافات على معظم تلك الكوادر الشابة التي ذهبت هدرا طعمة للاعتقال والإعدام ولم يشارك منها في الأحداث إلا القليل... كما سمح هذا الوضع بتسلل عدد قليل من عملاء للنظام -رغم أنه كان صغيرا- وقد اكتشف جلهم في الداخل وأعدموا نظرا للبنية الإسلامية التي يوفرها التنظيم المجاهد, واستطاع بعضهم أن يرتحل ليخترق صفوف المجاهدين المرابطين وراء الحدود حيث تسهل عملية الاختراق.
لقد كانت تجربة انفتاح التنظيم تجربة فاشلة, ولم يكن لها من فائدة سوى أن بعض أولئك الملتحقين استطاع التدرب من خلال المشاركة في المعركة مباشرة, وبرزت منهم كوادر رائعة على قلتها كما أمن هذا العدد الكبير جهاز استخبارات جيد للمجاهدين قبل وقوع المحنة. ويمكن الإفادة مما مضى من تجربتنا في هذا المستوى في عدة نقاط:
ـ (أنه يجب عدم تنظيم أي عنصر غير مؤهل على صعيد الفكر والانضباط والسلوك الإسلامي, وعلى صعيد الكفاءة الذهنية والنفسية والبدنية, ويستحسن اختيار العناصر من أوساط الحركات الإسلامية.

-- (يجب أن يقتصر التنظيم عدديا على القدر الذي يحتاجه التنظيم في مرحلة معينة, إلا أن يكون المستهدف في التنظيم صيدا ثمينا كأن يكون (كادر ا) مفيدا في مجال ما : ضابط أمن, أو جيش, أو عنصر فاعل في النظام, أوصاحب قيمة في مجال ما يفيد أكثر من كونه عنصرا عاديا -- صحافة إعلام, تدريب, (كادر) علمي ...
-- (يجب ان يكون برنامج تدريبهم ولو في الحد الأدنى ممكنا ومعدا على مستوى التربية والشحن بالفكرة وبالتدريب التعبوي.
-- (يجب ممارسة أعلى درجات الحيطة والتقصي للعنصر المرشح للتنظيم, وإخضاعه لفترة رقابة وتجريب.
-- (في حال الضرورة وعدم توافر الشروط يمكن إبقاؤه في دائرة الأنصار والإفادة منه.
-- (يجب الالتزام دائما بالقاعدة القائلة "النوع قبل الكم" ويمكن لبضعة عشرة مجاهد معبئا ومنظما ومدربا أن يغطوا قطاع مدينة كبيرة عملا, ويشغلوا النظام وكأنهم ألوف المقاتلين وينشروا في وسطه الرعب ويرفعوا معنويات الجماهير إلى عنان السماء, في حين لا تفيد مئات (الكوادر) المنظمة والمعرضة للخطر والتي تتطلب التكاليف المختلفة. إن مهمة التنظيم من أدق وأخطر أعمال القيادة الطليعية للثورة الجهادية.

--3مشكلة التمويل:

لقد كانت هذه المشكلة خلال التجربة السورية -ومازالت- مشكلة المشاكل ولقد أسفرت في فترة من الفترات كما بينا ذلك في اللمحة التاريخية عن خنق الطليعة والمساهمة في تصفيتها في مرحلة من المراحل, كما أسفرت عن ارتباط القيادت الميدانية باستمرار وارتباط قرارها بالممولين وراء الحدود من المتحكمين المسلمين والأنظمة المجاورة. وتعلمنا التجارب أن حركة جهادية ثورية تنهج حرب العصابات ستكون مكلفة وقد تصل في بعض المراحل إلى الملايين يوميا ... وهي تكاليف متفرعة متنوعة, من التسليح والمعدات والذخائر ونفقات المعارك وإعالة المجاهدين وتأمين المأوى لهم ومساندة الأسر المنكوبة من عوائل المعتقلين وتأمين الوثائق ...إلخ ومن هنا كان أن فهمنا عمليا لم ركز القرآن الكريم وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الربط بين الجهاد بالنفس والمال باستمرار بآيات وأحاديث كثيرة.

إن للمال دورا فعالا في هذه الحرب ولا يمكن الشروع بها ولا التخطيط لها دون وضع حل ناجح لهذه المعضلة. ولقد علمتنا تجربتنا وتجارب الأمم في كل مكان حيث قامت حروب عصابات ناجحة, أنه حتى تملك قيادة المجاهدين مصيرها وقرراها وقدرتها على الاستمرار فإنه يجب أن تمول نفسها بنفسها من خلال أنصارها الحقيقين الذين يتبرعون بدون شرط وبدافع التأييد, لاسيما الجماهير المؤمنة الملتفة حول المجاهدين, ولكن سند الحركة التمويلي الأول يجب أن يكون من ميزانية العدو وماله وسلاحه وعبر العمل الجهادي المسلح, وبدون ذلك سيبقى قرار قيادة الحركة مرتبطا ومهددا كل لحظة بمصادر دعمها التي غالبا ماتكون غير مخلصة وذات غرض.

-- 4مشكلة تأمين السلاح والذخيرة:

لقد أدرك أعداء الإسلام من المستعمرين ونوابهم فيما بعد من حكومات الطغيان في مختلف بقاع الوطن الإسلامي ما للسلاح وانتشاره بين أيدي المواطنين من خطر على كياناتهم وقيام حكوماتهم, فقاموا بنزع سلاح هذه الجماهير, ولقد أصبح سائغا بل وطبيعيا أن تكون الجماهير العريضة كلها منزوعة السلاح, الذي يقتصر وجوده وامتلاكه على النظام الطاغوتي وأعوانه وأذياله وتحولت الجماهير إلى خراف مسالمة.

إن هذا الواقع يفرض مشكلة ذات بعد جوهري على هذه الجماهير وتطلعاتها لمكافحة الطغيان ومخاطبته بلهجة يفهمها..

كيف نحصل على السلاح?...

لقد علمتنا تجربتنا ومطالعاتنا في تجارب الأمم أنه في بدايات الحروب الثورية دائما تكون الاحتياجات محدودة في الكم والنوعية, ويمكن تغطيتها باستمرار عن طريق شراء الأسلحة

الخفيفة والمتوسطة -وهي سلاح العصابات عموما- من تجار الأسلحة والمنتشرين بصورة شبه مؤكدة في كل مكان .. ولكنه يجب الانتباه إلى أن هذه الحرب التي ستتطور ستصل في يوم من الأيام إلى حجم يستحيل فيه تسليحها عبر هذه الخطوط الضعيفة إلا إذا توفرت أموال طائلة أو سند من نظام مجاور معاد للنظام المستهدف, والذي كثيرا ما يعرض تقديم المال والسلاح دون قيد أو شرط ليتسلل إلى القضية كي يوجهها في صالحه كما حصل بيننا وبين العراق. ولا يجب الركون لمثل هذه المصادر لا في مال ولا في سلاح.

إن المصدر الهام والاستراتيجي للسلاح وللمال هو مخزون العدو الذي يضطر للزج بعناصره وسلاحه لمواجهتنا باستمرار, وما تلبث هذه الأعتدة والأسلحة الكثيرة التي يتكرم بنقلها إلى ساحة المعركة أن توفر مصدر السلاح الأساسي للمجاهدين إن هم أحسنوا التخطيط والعمل بإذن الله.

لقد تعلمنا من تجربتنا أن المرحلة الذهبية من الجهاد في سوريا والتي امتدت قرابة ثلاثة أعوام سرا بنطاق ضيق ونحو عامين علنا وعلى نطاق موسع, تعلمنا أن السلاح الذي استخدم كان ي شترى بأموال تبرعات المسلمين وكان مورده في كثير من الأحيان من تجار السلاح الذي غدا فيما بعد ثمنه باهظا, وأنه أمكن فيما بعد نزع السلاح من العدو واستخدامه في نحره .. ولقد حقق السلاح غرضه في حين لم تسفر آلاف الأسلحة والمدافع وأطنان الذخائر التي قدمها العراق من بعد إلا عن التحكم بالمجاهدين وقطعهم وتركهم لمصيرهم في حماة. ولم تسفر مخازن المرابطين وراء الحدود والمليئة بالأسلحة إلا عن دفع القضية في المتاهة التي رأينا ...

وخلاصة الأمر أن السلاح أداة المحارب وعلى القيادة المتصدية للتخطيط الشامل أن تأخذ هذا الأمر بعين الاعتبار وتضع له حلا وتصورا يناسب الظرف والبلد, تصور ا سابق ا لمباشرة العمل.

--5مشكلة الاتصالات (داخل-داخل) (داخل-خارج) (خارج-خارج: (

تعتبر مخططات الاتصالات الآن عصب الجيوش الحديثة في كل مكان في العالم, ولا تخرج حروب العصابات الثورية عن هذه القاعدة, إذ تشكل الاتصالات عاملا حيويا وإن كان أقل بكثير من الجيوش النظامية نظرا لطبيعة حرب العصابات. كما تشكل هذه الاتصالات مقتلا خطيرا ونقطة ضعف للعصابات المقاتلة, فكثيرا ما تستهدف من قبل العدو .. وفي تجربتنا السابقة في الداخل (سوريا) كانت الاتصالات تتم بين القيادات اللامركزية في المناطق المختلفة عن طريق مراسل يسلم الرسائل ويستلم ردودها باليد, كذلك كانت معظم الاتصالات بين القيادة الميدانية لكل موقع وقادة أجنحته وبين هؤلاء ورؤساء مجموعاتهم عن طريق مراسل أيضا أو عن طريق المواعيد الشخصية حيث يتم اللقاء شخصيا لبحث المهم من الأمر. ولم تستخدم الأجهزة اللاسلكية تقريبا إلا في مرحلة متأخرة وكان هذا عاملا من عوامل تخلف تلك العصابات المجاهدة.

وفي المرحلة التي تم فيها شيء من التنيسق بين الداخل والخارج اعتمد على المراسل الشخصي والرسالة المحمولة, وفي مرحلة متأخرة استخدم الأخوان البث من إذاعتهم عبر بغداد لبعض الأوامر المشفرة.

أما في الخارج بين قيادة الإخوان وقياداتها الموقعية في البلدان المتعددة, فغالبا ما كانت الاتصالات تتم عبر المهاتفة! حيث تشرح الأمور بكل صراحة ووضوح! وقليلا ما استخدم المراسل الشخصي لأغراض كهذه.

والمستفاد من هذه التجربة السالفة عدة نقاط:

-- (إن استخدام المراسل الشخصي الذي غالبا ما يحمل رسائل صريحة غير مشفرة سواء في اتصالات (داخل-داخل) أو (داخل-خارج) شكل دائما عامل خطورة, إذ كان دائما هدفا لكمائن النظام التي كانت تحصل في تلك الرسائل على صيد ثمين حيث تفيد منها قبل أن يتمكن المعنيون من تلافي الأمر.

- إن نظام المواعيد الشخصية داخل المدن أعطى النظام الأمني المعادي المفتاح الأول لعمليات الكمائن والاعتقالات, وكان أحد الأساليب التي استهلكت في حرب المدن التي مارستها الطليعة وأصبح شكلا خطرا ينبغي استبداله أو تضييق استعماله.

- إن عدم استخدام الأجهزة اللاسلكية كما ينبغي ولا سيما في المرحلة الحرجة عرقل العمل وطبعه بالتخلف لا سيما العمليات العسكرية التي كانت تتم دون أن يكون ثمة تحكم وصلة قوية بين القيادة وقيادة العملية وبين هذه والمقاتلين, وقد كانت معظم العمليات عمليات صغيرة (اغتيالات-كمائن صغيرة) ولم تحصل عمليات عصابات موسعة تفرض استخدام اللاسلكي الذي لم يكن متوفرا لا كجهاز ولا كفنيين يتقنون استخدامه.

وقد استطاعت فيما بعد قيادة حماة الميدانية إدخال هذا السلاح للمعركة والإفادة منه لا سيما أثناء معارك حماة, وأفاد التصنت على بث السلطة كثيرا في إحكام التصدي لمخططاتها.

- إن الاتصالات عبر الهواتف خطيرة جدا, وغير مفضلة في الداخل إلا ضمن الأفراد غير المكشوفين وبشكل قصير ورمزي, أما في الخارج فكانت المهاتفات مصدر المعلومات الهام الذي زود الأنظمة المضيفة وأجهزة المخابرات حيث يقيم الإخوة بكل ما احتاجته من معلومات عن حركة الإخوان, وكان هذا إهمالا يبعث على التعجب! وضربا من الانتحار الأمني ..

وخلاصة القول أن قضية الاتصالات على كل المستويات بين القيادة المركزية والقادة الميدانين وبين هؤلاء ومن يتبعهم من الفعاليات الميدانية, أمر حيوي يتطلب البحث والدراسة وإيجاد الحلول, ويجب القول أن تطور أجهزة الإرسال وتوفرها وإمكانية شرائها يعتبر أمرا بالغ الأهمية للعصابات ويجب الإفادة منه على صعيد توفير الأجهزة والفنيين الذين يتقنون استخدامها, وهي سلاح ذو حدين تستطيع به القيادة إدارة أعمالها بتحكم مباشر كما تستطيع التصنت على العدو الذي تشكل اتصالاته عصب حركته, حيث يوفر هذا واحدا من أهم مصادر المعلومات عن العدو.

-6مشكلة تأمين القواعد والمخازن وتسليحها وإعدادها:

تعتبر سوريا بلدا سيئا جغرافيا لإدارة حرب عصابات طويلة المدى, نظرا لطبيعتها الصحراوية المنبسطة أو السهلية الخالية من التعقيد في التضاريس, وفقرها بخطوط المواصلات الكثيفة والأنهار والغابات, وصغر مساحتها نسبيا, وباستثناء جزء صغير في الشمال الغربي من سوريا والمنطقة المحيطة بدمشق, أما المناطق التي يمكن الإفادة منها في حرب العصابات فهي جبال النصيريين الممتدة على طول الساحل الغربي لسوريا وهي للأسف أراض معادية لايمكن الركون إليها كملجأ.

كل هذا دفع المجاهدين إلى تبني حرب عصابات المدن وكانت القواعد مبثوثة بين البيوت في الأحياء حيث طور المجاهدون فيما بعد أسلوب إنشاء مخابئهم ومخازن أسلحتهم, تحت غطاء العائلة التي تقيم في البيت بشكل طبيعي, واختفى بذلك مئات المجاهدين في الأحياء بأسلحتهم, أما العناصر غير المكشوفة فكانت تمارس العمل الجهادي من خلال متابعة حياتها اليومية العادية, ولقد أثبت هذا الأسلوب نجاحه لفترة عام ونصف تقريبا (9791-1891) ولكنه مالبث أن استهلك بسبب الاعتقالات وفهمت أجهزة الأمن بموجبها طبيعة هذا التكتيك المستخدم واستطاعت معالجته.

ولا شك أن أولى القضايا والمعطيات المطروحة على البحث أمام قيادة تتصدى لحرب العصابات هو بحث مكان إقامتها وتحركاتها ومخازن أسلحتها وغطاء ذلك, وما يمكن أن توفره طبيعة البلد الجغرافية أو السكانية. وفي حين تقدم الطبيعة ولا سيما حيث الجبال والغابات والأحراش والأنهار والبحيرات وحيث الامتداد الجغرافي الكبير والمدن الصناعية المترامية الأطراف وطبيعة عمرانها ... عوامل مساعدة للعصابات على الانتشار والحركة والتخفي, لا تقدم مناطق أخرى هذا السند, وتجد العصابات نفسها محاطة بظروف صعبة كما في سوريا مثلا, ويجب القول أن هذه العصابات لن تعدم إن هي أمعنت التفكير أسلوبا يلائمها ويناسبها مهما بلغ الظرف من الصعوبة, ولكنه أمر جدير بالبحث وبناء الاستراتيجية حسب معطياته, وتفيد دراسة تجارب

الأمم والشعوب وقراءة تواريخ الحروب الثورية وأعمال العصابات إلى حد كبير في توسيع الأفق وإعطاء الدروس المجربة سابقا.
أمر آخر يتعلق بموضوع القواعد والمخازن وهي تجهيزها تعبويا لتصبح صالحة لأن تكون قاعدة أو مخزن.
ففي حين يفترض في القاعدة أن تكون أمينة حسنة التموين حصينة يسهل الدفاع عنها ويسهل الانسحاب منها, مريحة مناسبة لإقامة مجموعة أو أكثر من المقاتلين, تتطلب المخازن إعدادا تعبويا حسب ما يخزن فيها من سلاح, ذخائر, متفجرات, وثائق, معدات .... وهذا الأمر علم عسكري مستقل لا غنى للمعنيين بالأمر عن معرفته وإتقانه. ومهما كانت الدراسة مفيدة يبقى فهم الظرف ومعايشته, والخطأ والإفادة منه المعلم الأول للعصابات في هذا وغيره, ولكن يجب أن يبحث الأمر ويدرس من قبل من تصدوا للتخطيط للتقليل من أخطاء الجهل إلى أبعد حد ممكن.
- 7مشكلة التدريب (في الداخل - في الخارج: (
تعتمد حرب العصابات كما أسلفنا أكثر من أي حرب أخرى على العنصر البشري وكفاءته, وليس هناك أحوج من مقاتل العصابات (ولا سيما قيادتهم) للياقة البدنية الكاملة, والاستعداد لحياة الشظف وتحمل ألوان التعب والإعياء والسهر والجوع والظروف الصحية السيئة ... وللخلفية الثقافية العامة الواسعة في كل مجال, وأوسع العناصر ثقافة أقدرهم على الإفادة من الظرف الذي يفرض عليه حضور بديهة غريزية وسريعة وإيجاد حلول آنية للورطات التي قد تكون قاتلة, وتشكل كارثة قد تكون فادحة ... كما يحتاج لإتقان استخدام السلاح الفردي والجماعي حسب الحاجة حيث يفترض لكل مقاتل أن يتقن استخدام كل صنوف الأسلحة الخفيفة والمتوسطة وأن يكون مختصا بإحداها .. هذا فضلا عن الشجاعة وحب المغامرة ... ولقد أثبتت التجربة أن ثمة أشخاص مفطورين مسبقا ودون أي تدريب سابق على استعداد طبيعي لأن يكونوا مقاتلي عصابات ممتازين, وأن آخرين يعانون من معطيات بدنية أو نفسية تعيق أو تجعل التحاقهم بجيش عصابات مستحيلا ... ويمكن القول أن كلا من هؤلاء المستعدين فطريا لذلك أو الذين يعجزون فطريا عنه هم قلة بين الناس. وأن الشريحة العامة من البشر يمكن عبر التدريب العملي والمكثف أن يصنع منها مقاتل عصابات جيد, بل ممتاز, بل وإن التدريب يفتح المجال أمام الإنسان لاكتشاف إمكاناته وتسمح الممارسة الحقيقية لاكتشاف الإنسان لنفسه ولقدراته التي كان يجهلها إلى حد بعيد, أو لاكتشاف عجزه. ولا بد من ذكر هذه الحقيقة التاريخية بكل احترام هنا : أن المسؤولية تصنع المسؤول الكفؤ, والمسؤول المبدع يصنع الأحداث التي تتطور لتلقي بالمسؤولية على آخرين وهكذا بجدلية حقيقية رائعة...
ولقد أفرزت تجربتنا في سوريا كوادر شابة ممتازة من خلال العمل. فالحرب علم تجريبي تجري معرفته من خلال الممارسة حيث تصنع الحرب الرجال الجديرين بصنع التاريخ نفسه.
ومن المعروف أن حروب العصابات غالبا ما تنطلق شرارتها على أيدي بعض المؤمنين (أصحاب المبادئ) الثوريين وغالبهم شريحة مدنية من طلاب, وعمال ... وقليلا ما ضمت صفوف العصابات الأولى بعض العسكريين وهكذا يتعلم هؤلاء الأغرار من تجربتهم ولا يمكن اتخاذ ضعف الخبرة هنا وعدم إمكان التدريب عذرا عن المشاركة -ولطالما استخدمه البعض- فسرعان ما توجد هذه الكوكبة بنفسها وحسب ظرفها طرق التدريب والتي غالبا ما تكون مشاركة جانبية في القتال, ما يلبث أصحابها أن يصبحوا خبراء حقيقيين.
ونجد في تجربة الطليعة في الداخل دروسا جيدة في التدريب العملي, كما نجد في تجربة الإخوان لمحة عن التدريب المنظم, فقد اندلعت الأحداث على يد بعض الشباب الذي كان في أحسن أحواله قد أطلق النار من مسدس فردي أو بندقية آلية. وكانت قلة منهم ومعظمهم من شباب مروان الأوائل قد تلقوا قسطا من التدريب عبر منظمة فتح أيام معسكراتها في الأردن (9691). ولكن الطليعة أوجدت فيما بعد لنفسها نظاما ذاتيا للتدريب ... فكانت التدريبات الرياضية تتم كل حسب جهده بتشجيع من القيادة, أما التدريب على السلاح فكان يتم عبر فك الأسلحة وتركيبها في

البيوت, ثم يخرج هذا العنصر الجديد ليراقب عملية -تنفيذ اغتيال- ليكسر الحاجز النفسي, ثم يعاد إخراجه (كحماية) وهو مسلح لمرافقة مجموعة منفذة, ثم يوكل إليه بإشراف من هو أقدم منه الإقدام على عملية الاغتيال بنفسه, وكثيرا ما كانت الطلقات الأولى لكثير من المجاهدين تستقر في رأس من رؤوس الكفر... وسرعان ما يتعلم المرء من التجربة, وقد نفذت عدة كمائن عسكرية ناجحة بهؤلاء الأ غرار وكان أنجحها تلك التي قادها الشهيد النقيب ابراهيم اليوسف (رحمه الله), الذي أشرف بنفسه على بعض أعمال التدريب العسكري في بعض الجبال الصغيرة قرب حلب حتى في أيام الأحداث والتوتر, وكانت أعمال التدريب المنظمة الأولى حين أوفدت الطليعة بعض مجاهديها ليتلقوا التدريب العسكري في العراق وليعودوا للمشاركة, وقد عادوا وشاركوا في القتال بنجاح ولم تقدم الطبيعة الجغرافية للبلد إمكانية لإقامة معسكرات للتدريب العسكري في الجبال والغابات مثلا لعدم توفرها.

أما شباب الإخوان في الخارج فقد تلقوا قسطا من التدريب على السلاح لا بأس به, كرمايات وفك وتركيب أسلحة خفيفة وثقيلة وإطلاق بعض صواريخ (آر.ب.ج) المضادة للدروع والأشخاص ... وفي التكتيك استمعوا لبعض المحاضرات العسكرية ومارسوا بعض البيانات العملية, وقد تدرب البعض على قتال الدبابات وقيادتها في دورات اختصاصية ومنهم من نزل, وأحيل الباقون إلى البيوت ليتابعوا حياتهم المدنية وليفقدوا كل ما تعلموه مع الوقت.

وخلاصة القول : أنه في الظروف التي لا يمكن للعصابات أن تقيم لنفسها معسكرا للتدريب في الجبال أو الغابات, تكون أفضل الأساليب أن يخضع كل عنصر لتدريب رياضي عالي مستمر وبإشراف قيادته عبر حياته الخاصة, ثم أن يخضع لسلسلة من الدراسات النظرية المعدة من قبل القيادة في العلوم العسكرية, مما يلزم مقاتل عصابات (تكتيك العصابات, دراسات حول الأسلحة, المتفجرات, الإسعاف العام, ... قراءات مفيدة) ليكو ن خلفية جيدة نظرية حول الموضوع, ولا بأس أن يخضع لامتحان نهائي نظري, وهكذا يمكن عبر مخطط مدروس إيصال العنصر إلى سوية من التدريب لا ينقصه فيها إلا إطلاق النار واستخدام المتفجرات, حيث لا بد من ممارسته لذلك حسب الممكن ولكن تبقى الازمة محدودة إذا ما نفذ المخطط السابق.

وتبقى المشاركة في الحرب خير معلم مع الأخذ بعين الاعتبار ضرورة استخدام كل ما يمكن أن تقدمه التكنولوجيا من أجهزة الاتصال والتفجير عن بعد والرصد والأسلحة الخاصة حسب الممكن ... ويبقى مخطط التدريب وبرنامجه مسؤولية القيادة العليا وعليها إيجاد حل له كمشكلة غالبا ما تكون ممكنة الحل في ظروف السلم قبل انفجار الأحداث وتشكل مناطق التوتر حيث تقوم معارك إسلامية مكانا رائعا للتدريب (مثل أفغانستان مثلا.(

-- 8مشكلة المخبرين وعلماء السوء:

اصطدمت حركة المجاهدين في سوريا أول ما اصطدمت بجيش المخبرين الجرار الذي بلغ عشرات الالاف من العملاء المرتدين والمضللين من أبناء المسلمين الذين انحازوا للطاغوت وعملوا له عينا على المجاهدين. ولقد أدى نشاط هؤلاء المخبرين الى إيقاع خسائر فادحة في صفوف المجاهدين. ولعل أغلب القواعد التي كشفت ودوهمت كانت بفعل وشاياتهم. فقد انتشروا بكل أشكالهم من كبار الموظفين وحتى الشحادين وعمال النظافة ... ولعل أسوء أنواع المخبرين كانوا أولئك المسوخ من الملحقين بقائمة العلماء وأئمة المساجد, حيث تشكل المساجد منطقة أمن للجماهير, وقليلا ما يتوقعون تسلل الدولة إليها, وغالبا مايفقدون الحيطة. ولقد برز من العلماء من انحاز إلى صف السلطات والمرتدين منافحين عن النظام واصفينه بالإسلامية ومعظمينه وفاتحين المجال أمام خداع البسطاء من المسلمين وعلى رأس كل أولئك مفتي الدولة ووزير الأوقاف ومدرائه(1)... إلى آخر هذه السلسلة القذرة التي ذهبت الى حد تكفير المجاهدين وإباحة دمائهم للطاغوت . ولقد اصطدم المجاهدون بجيش المخبرين ذاك وأوقعوا فيهم خسائر فادحة وصلت الى حد نجاح الحملة التي قاموا بها حيث تقلص عدد المخبرين وانتشر الذعر بينهم. وأصبحوا يشك ون بان المجاهدين يعرفونهم ويتصورون أن فيهم من يعمل في جهاز الأمن نفسه ... إلا أن

كل تراجع في وتيرة العمل الجهادي كان يحمل معه إطلالة تلك الرؤوس الجبانة. ولابد لمن يخطط للعمل الجهادي من أن يأخذ هذه المعضلة بعين الاعتبار ويضع لها حلا ناجحا, ويضع استراتيجيته حاسبا حسابها. أما على صعيد بعض أولئك المشايخ فعلى الرغم من أن المجاهدين قد أعدموا بعضهم أمثال الشيخ /محمد الشامي, والشيخ الطاووس وغيرهم ... فقد كان إعدامهم مشكلة إعلامية تحتاج الى عناية كبيرة لانتشار سمعتهم كعلماء بين بعض البسطاء. كالشامي الذي اضطر المجاهدون للسكوت عن خبره وضاع دمه بينهم وبين الدولة التي قتلت من----------

---

(1)حتى سقط فيها بعض العلماء المرموقين أمثال : ؛ سعيد رمضان البوطي « الذي ذهب إلى مديح حافظ أسد على منبر خطبة الجمعة. وفي محاضراته. ووصل به الأمر لوصفه بالرئيس المؤمن والتهجم على المجاهدين الذين خرجوا عليه!! وذكر شيئا من ترهاته هذه في كتابه هذه مشكلاتهم ص21, وفي مقابلة أجراها مع مجلة الأنصار المغربية زعم فيها أن حافظ الأسد يسعى لتأصيل وتقوية الأصولية والعودة للكتاب والسنة في سوريا.!!

جهتها بعض العلماء الطيبين.. . فمشكلة المشايخ هذه أيضا واحدة من المهمات. وأهم ما فيها رؤوسهم الكبيرة حيث يجب أن يكون في إعدام بعضهم العبرة ولكن ضمن مخطط إعلامي مدروس جدا لتغطية العملية والإفادة منها وتحجيم إرهاصاتها السلبية.

-- ومشكلة الوثائق:

إن ممارسة المجاهدين لقتال السلطة وكذلك أي معارض للنظام ولاسيما من اتخذ حمل السلاح أسلوبا لمحاربة الطاغوت سيتعرض بالطبع للملاحقة, وباعتبار أنهم أو بعضهم ولاسيما تلك العصابات التي تستخدم أسلوب قتال المدن (كتجربة الطليعة) مضطرون للحركة في المدن وعلى طرق السفر ومعرضون لطلب وثائقهم الشخصية من قبل الامن أو الجيش, وكذلك باعتبار أن بعضهم قد يضطر لمغادرة البلد والسفر بشكل نظامي أو غير نظامي ليتحرك في الخارج لأغراض تخدم العمل أو لأغراض شخصية إن هو قرر الانسحاب, كل هذه الاعتبارات والظروف تفرض على من يخطط استراتيجية لهذه الحرب أن ياخذ في حسبانه مشكله هامة هي (مشكلة إيجاد الوثائق). ويمكن إيجاز تطور معالجة هذه المشكلة من خلال تجربتنا السابقة بما يلي :

(مع انفجار الاحداث الفجائي والذي لم تكن التنظيمات الإسلامية وعلى رأسها الإخوان المسلمون قد أعدت له شيئا, اضطر مئات الناس للتوجه للسفر أو للتخفي عدة أيام ريثما يتدبرون أمرهم, وكانوا يحملون وثائقهم الشخصية وقد اعتقل كثير منهم حيث كانت قوات الأمن والشرطة مزودة بقوائم أسماء الملاحقين. فاعتقلوا على حواجز التفتيش وانتهى أمرهم ولاحول ولا قوة إلا بالله.

(واجهت الطليعة المشكلة حيث أن القسم المكشوف والفعال فيها كان قد لوحق واضطرت عناصره لممارسة حرب عصابات المدن. فقامت ببعض عملياتها بمهاجمة دائرة الأحوال المدنية, واستولت على بطاقات شخصية وأوراق وأختام حكومية تمكنت بها من تجاوز المشكلة مؤقتا.

(بعد خروج الإخوان للخارج ولاسيما الأردن والعراق, بدأوا بإنشاء جهاز خاص بالوثائق ليزود المهاجرين والملاحقين بالوثائق الشخصية والأوراق الدراسية التي تدل على مستواهم السابق, حيث لم يتمكنوا من طلبها عبر الطرق النظامية. وكذلك جوازات السفر والأختام اللازمة ... الخ وتطور الجهاز حتى غدا جهازا متكاملا قادرا على تأمين كل الاحتياجات, وقد أرسلت كثير من هذه الوثائق إلى الداخل لتحل بعض مشاكل المحبوسين هناك والمجمدين عن الحركة.

(لم تستطع الطليعة حتى فترة متأخرة -بعيد النفير وحماة- الاستقلال بإنشاء جهاز وثائق نظرا لفقرها. واضطرت للوقوع تحت تأثير تحكم جهاز الإخوان. ثم استقلت بجهاز لها فيما بعد ولكنها سرعان ما دمرت ولم تفد منه ولاحول ولا قوة إلا بالله.

(والذي يستخلص من هذه التجربة وبحث المشكلة, أنه على من يتصدى للتخطيط لمثل هذا الأمر أو من يتوقع أن يفاجأ بظرف من شكل هذا الظرف, أن يعد حلا لهذه المشكلة المفصلية -سهلة

الحل- ولايجب الاعتماد على سلب الوثائق الحكومية لأن معظمها معروف الأرقام وقد تغيرها إلى نسخ ثانية يتعذر سلبها مرة أخرى (كما حصل في سوريا حيث غيرت كل البطاقات الشخصية) والأفضل من ذلك الانصراف لإيجاد جهاز مستقل. والجدير بالذكر أنه يمكن في الخارج تأمين كل هذه الاحتياجات بالمال وعبر التعامل مع بعض المطابع وبعض الأسواق السوداء, فهي مشكلة هامة وسهلة الحل في نفس الوقت إذا بوشر بعلاجها قبل الأزمة.

-- 10مشكلة الجرحى والإسعاف:

لقد كانت هذه إحدى مشاكل المجاهدين الكبيرة في الداخل, فكثير مايشكل الأخ الجريح معضلة حقيقية, فتركه في أرض المعركة خطر كبير لما يحمله من أسرار في التنظيم السري الهرمي الذي يشكل اعتقال أحد أفراده أزمة حقيقية. ونقله إلى قاعدة رغم ما فيه من العناء والجهد إن أمكن مشكلة أخرى لعدم إمكانية علاجه في قواعد المدن. ولسنا بصدد بحث هذا الآن. وليست حرب عصابات المدن كحرب عصابات الأرياف والغابات والجبال حيث يتمكن فيها الثوار من إنشاء نواة مستشفى ميداني لهم لعلاج الحالات العادية والمتوسطة, وبالتالي إمكانية وفائدة نقل الجرحى, بل على العكس فلا مجال لهذا فقد مر في تجربة الطليعة بعض الحوادث المأساوية في الداخل نتيجة هذا الأمر ... وفي عدة مرات استشهد بعض المجاهدين الذين تمكنوا من الانسحاب في قاعدتهم بفعل الجرح البليغ أو النزيف من جروح يمكن علاجها ... وفي بعض الأحيان كان المجاهدون يضطرون لاختطاف أحد الأطباء مع بعض معدات الإسعاف إلى إحدى القواعد وقد كان هذا حلا ناجحا ولكن في حدود الجروح العادية ... وقد أفادنا الاطلاع على بعض التجارب العالمية بمعلومات قيمة عن إنشاء قواعد سواء في الأرياف أو الجبال أوالغابات أو حتى المدن في بعض الأحيان كقواعد إسعاف أومستشفى مصغرة ... وعلى الأقل وفي حدود الإمكان يجب على م قاتل العصابات أن يلم بمعلومات أولية عن الإسعاف الميداني وعلاج بعض الجروح وإعطاء بعض الأدوية وحتى إجراء بعض الجراحات البسيطة, ويجب تزويد كل قاعدة ببعض المعدات, وقد توفرت الآن في الأسواق العالمية بعض المعدات شبه الكاملة بحجوم صغيرة وسهلة النقل وبالإمكان الإفادة منها كثيرا. وتبقى هذه المشكل مطروحة على أصحابها الذين يتعاملون معها دائما ويتعلمون منها ويجدون لأنفسهم حلولا تناسبهم.

-- 11مشكلة الاستخبارات وتأمين المعلومات عن العدو:

باستمرار ت بنى عملياتنا ومخططاتنا ولا سيما في الهجوم وكثيرا من حالات الدفاع على معرفة مخططات العدو واسراره بكل أشكالها .... ولابد لقوات العصابات من أن يكون لها جهازها الخاص لجمع المعلومات عن العدو ورصده على كل مستوى, معرفة شخصياته الفاعلة ونبذة عنهم وعن تحركاتهم ومواقع إقاماتهم وعن مخططات العدو ومراميه ومواعيد الدوريات وتسليح المواقع....

وفي الحالات التي نواجه فيها نظاما ديكتاتوريا ولاسيما تلك التي تتبنى سياسة الحزب الواحد أو الاسرة الواحدة, تشكل أعضاء الحكومة ورجالات الحزب وفعالياته أو (الأسرة المالكة وحاشيتها) هدفا لاستطلاعاتنا الدقيقة. ويأتي استطلاع ورصد أجهزة الأمن العميلة في طليعة الأهداف التي تستحق الجهد والاختراق من جانبنا, وكذلك الجيش عندما ي زج به بالمعركة ضدنا. وتشكل الجماهير المسلمة المؤيدة المنتشرة في كل مكان خير جهاز استخبارات رديف للعصابات .ولكن هذا لايغني عن ضرورة إيجاد جهاز يعنى بهذا الأمر والقيام به بزراعة عملاء لنا في جسد النظام وأجهزته ولاسيما في أجهزة الأمن وقطاعات الجيش والوحدات المستخدمة لحربنا.

ولقد كان في التجربة الماضية نماذج ثمينة ورائعة في بعض الأحيان على مستوى النوعية. ولكنها كانت في حدود ضيقة وقليلة وقد أفادت بعضها في إيقاع خسائر فادحة في صفوف العدو, وأمكن عن طريقها تجنب كثير من الخسائر حيث قامت بالإنذار في وقت مبكر. وطالما أن طبيعة معركتنا عسكرية يأتي جهاز الاستخبارات في طليعة الاجهزة التي يجب إنشاؤها ورعايتها

والتخطيط للاستفادة منها على مستوى القيادة العليا ولا يخفى أن طبيعة هذه الاجهزة ونوعيتها يحددها طبيعة النظام المعادي وأجهزة قمعه.
إلا أنه يجب عدم نسيان الجماهير كرديف هائل في جهاز الاستخبارات. ولاسيما إن أمكن تعبئتها لصالح المعركة, وهذا ما يجب أن يكون أولى مهمات العصابات عبر برنامج معد بكل عناية.
-- 12المشاكل الأمنية للبناء التنظيمي الهرمي:
أغلب التنظيمات السرية هرمية البناء وهذا هوالشكل الشائع حيث ترتبط القيادة بقواد أجنحة ومسئولي أجهزة, يرتبطون بمرؤوسيهم أيضا بنفس الطريقة عبر هذا الشكل الهرمي وهو بناء قوي سهل الإدارة يتميز بإمكانية الاتصالات من الأعلى إلى الأسفل والعكس بسرعة وفعالية, إلا أنه بناء خطير, سرعان ما تتحول فيه أصغر المشاكل -إن لم يتم تلافيها- الى كوارث حقيقية بفعل عمليات التعذيب والبطش الوحشي التي يتعرض لها المعتقلون والتي تجبرهم على الادلاء بكل ما لديهم, معرضين السلسله الهرمية نحو الأعلى والأسفل لأخطار جمة .. ولقد كانت التنظيمات العسكرية التي عملت في الداخل (في التجربة السورية السالفة) كلها هرمية الى حد كبير, ولقد تعرضت للخسائر في كثير من الاحيان بل لدمار أجنحة بكاملها بفعل هذا البناء الاضطراري.
ثمة طريقة أخرى لبناء التنظيم وهي طريقة الربط الخيطي حيث يرتبط كل عنصر قيادي بحلقات صغيرة وخيطية خاصة ومتعددة تفرض عليه جهدا وعناءا كبيرا لتعلق مسئولياتها في عنقه كلها, وحيث لا ترتبط هذه الخلايا (التي قد تكون من عنصر واحد غالبا أو اثنين) مع بعضها وبالتالي لا يشكل اعتقال أحدها خطرا على مجموع السلسلة في حين يشكل اعتقال المسئول كارثة على كافة الحلقات. ولكن لكونه فردا واحدا فإن احتمال تعرضه للخطر يبقى قليلا لاسيما إن اتخذت الحيطة الكافية حوله .... ولكن هذا الأسلوب على أمنيته العالية ضعيف, اذ كثيرا مايؤدي مقتل أو اعتقال رأس الخيط إلى انفراط عقد حلقاته الخاصة وصعوبة وصل هذا التنظيم مرة أخرى. ولا يمكن تلافي هذا الامر إلا بوجود نائب بديل مطلع, مهمته ربط الحلقات حال غياب المسئول أو استخدام طريقة الظرف المختوم الحاوي على الأسرار التنظيمية. حيث يقوم المسئول البديل بالاطلاع عليه لوصل الحلقات التي تكون مجهزة بكلمة سر لتلقي أوامر المسئول الجديد. ولايفتح الظرف الذي يجب أن يكون مشفرا إلا من قبل رجل معين مهمته الربط, وقد يكون هو المسئول التالي وقد لا يكون. ولا يفتح الظرف أيضا إلا في حال فقدان المسئول المباشر .
هذه إحدى الطرق الشائعة في تفادي مشاكل التنظيم الخيطي أو العنقودي.
وقد يكون التنظيم مختلطا : أي هرمي ا في جناح وخيطي ا في آخر. حسب دور الجناح وظرفه المتشابك الأسباب, وهذا التركيب يوفر مجالا طيبا للمناورة بيد القائد. وبين هذا الشكل الهرمي والآخر الخيطي ومزج النسب المختلفة لكل منهما تتراوح معظم التشكيلات التي تتخذ العمل العسكري السري أسلوبا لها ... وقد توصلت بعض العصابات في أوربا ولا سيما (الألوية الحمراء) في ايطاليا, وعصابات (باير ماين هوف) في ألمانيا (ومنظمة ايتا) الانفصالية في اسبانيا ... إلى أساليب تنظيمية غاية في الدقة والمتانة عبر التجربة مكنتها من الصمود حتى في وجه أجهزة أمن قوية للغاية. وهكذا ت عل م نا التجارب أن الأمن ومتانة التنظييم والدقة والحذر مع سهولة الادارة هي عوامل متناقضة تحتاج لكثير من الجهد الفكري والتنظيمي.
والتجربة مريرة يدفع ثمنها من دماء أصحابها حتى يتعلموا. وعلى من يتصدى للتخطيط أو ادارة مثل هذه التنظيمات أن يبني نظامه وبناء خلاياه بناء على معطياته الاستراتيجية من طبيعة البلد والقوة الذاتية والمعادية وطبيعة أجهزة الأمن وطريقتها .. الخ.
ويتخذ له الأسلوب المناسب, هذه المشكلة (المعضلة) تطرح نفسها بالحاح على عصابات المدن في حين لا تشكل مشكلة كبيرة للعصابات التي تدير قتالها بشكل شبه علني في الأرياف في ظروف طبيعية مساعدة كتوفر الغابات والجبال والمسالك الوعرة والامتداد الواسع.
ولقد كانت التجربة السورية السالفة من الصنف الأول وقد أعطت دروسا غالية فادحة الثمن يجب دراستها و الافادة منها. ولعل أهم المشاكل هي الاعتقال وأثره, وانقطاع العنصر عن

السلسلة العامة وصعوبة التحاقه بها ثانية. وذلك باستشهاد مسؤوله مثلا أو اخلاف الموعد المضروب وموعد الاحتياط. وكثيرا ما تشرذمت جيوب هامة وفقدت صلتها بالقيادة عبر العمل في الداخل ولم يعاد وصلها الا بجهد جهيد أو أنها ضاعت.

ويبقى لفت النظر لهذه المشكلة مهما ودرسا يجب أن يعيه القائمون على الأمور ويعيروه كل عناية.

(13قضية الاحتفاظ بالمبادرة والقدرة على الردع:

من أهم ما أفدنا من تجربتنا السالفة, أنه على عصابات المجاهدين وجهازهم العسكري أن لا يتركوا للنظام وأجهزة قمعه وقتا مريحا للتفكير, وأن يتابعوا عبر مجموعة من التكتيكات العسكرية المدروسة والأعمال المتلاحقة (لعبة البرغوث والكلب)(1.(

حتى إيصال أجهزة الأمن والجيش وغيرها من أجهزة القمع الى حالة الاعياء التي يستحيل معها تقدير أمورها بحكمة وتنفيذها بيسر وتحكم. ولا يمكن تحقيق هذا الا عبر الامساك بالمبادرة والاحتفاظ بها ما أمكن طيلة فترة الحرب وهذه مهمة ليست بالسهلة. ولا يمكن تحقيقها دون العمل وفق مخطط استراتيجي شامل تتضافر فيه الجهود العسكرية----------

---

(1)تحدث بعض محللي حرب العصابات عن هذه الظاهرة وأطلقوا عليها هذه التسمية, وتعني أن صراع العصابات التي تنتشر في طول البلاد وعرضها بقوى ضعيفة قياسيا لقوة الدولة, تشبه جيش البراغيث الذي ينتشر في أنحاء جسم الكلب المصاب بهذه الحشرة ليوجه له الوخزات واللسعات باستمرار وفي كل المناطق. وعلى الرغم من أن جيش البراغيث هذا لا يملك قوة الكلب إلا أنه بوخزاته المستمرة يضعه في جو من الإنهاك والإعياء يهيؤه معه للسقوط في النهاية.(مقتبس من كتاب حرب المستضعفين لكاتبه الأمريكي(

والإعلامية والسياسية للتنظيم السري الجهادي الثوري. وبطبيعة الحال فان العدو وأجهزته تدرك هذا وهي تحاول باستمرار تملك زمام المبادرة لاجبار المجاهدين ومقاتليهم على الاندفاع في سلسلة من ردود الأفعال تختارها الدولة.

وتبني بناء عليها (تكتيكات) حصار وتفتيت متتابعة, توجه بموجبها للعصابات ضربات ساحقة, وهكذا تستمر اللعبة.

فضلا عن المبادرة فإن على العصابات المجاهدة أن تحتفظ بقدرة دائمة على الردع الصاعق في حال فقدان المبادرة في عمليات نوعية ومفاجئة ت دخل النظام وأجهزته في دوامة مؤقتة ريثما تستطيع العصابات معاودة استرداد أنفاسها وامتلاك المبادرة من جديد, وتفيدنا التجربة السالفة أن الطليعة ملكت المبادرة بفعل سريتها وصغر تنظيمها حتى أواخر عام 1980ثم ما لبثت هذه المبادرة أن تحولت للدولة التي استطاعت استجرارالطليعة لمجموعة ردود أفعال عسكرية صفيت بموجبها معظم جيوبهم حتى أواخر 1981.

أما تجربة حماه فقاسية, فبعد أن تمكن المجاهدون من حشد قوى هائلة لهم في المدينة وبناء رؤوس جسور تنظيمية عسكرية في مناطق أخرى, تمكنت الدولة بفعل امتلاكها للمبادرة بعد حصار المدينة من جر المجاهدين مرغمين للصدام العلني الذي خططت له, ودمرتهم وقد مر بيان ذلك.

وهكذا وفي حرب العصابات وغيرها من الحروب تبقى المبادرة هي الهدف من الصراع (التكتيكي) ويبقى على قيادة المجاهدين أخذ هذا في الحسبان والتخطيط له منذ البداية والعمل على استردادها دائما عندما تفقد.

-41قضية العمل العسكري الخارجي الرديف:

ساحة المعركة هي مكان الجهد الرئيسي للثورة وقيادتها وهي في أرضها (في الداخل) وهذا يجب أن يكون أحد الدروس الهامة الكبيرة التي أفدناها من تجربتنا السابقة ولا جدال حول هذه الحقيقة الاستراتيجية حيث لن تلبث أي ثورة اتخذت لنفسها في المهجر مستقرا ومقاما أن تنقرض

وتتفسخ تحت عوامل التآكل والمرض الداخلي والخارجي, ولكن يبقى على قيادة الثورة أن تخطط لإنشاء جهاز عسكري صغير يكون بالنسبة لها ذراعا طويلا تستطيع به أن تنال بعض الأهداف الاستراتيجية في الخارج إن لزم الأمر, حيث يوفر الخارج بعض الفرص لاغتيال بعض رؤوس النظام وقادة أجهزته الأمنية العسكرية الذين يتواجدون أحيانا في الخارج بظروف شتى بمعطيات أمنية لا تتوفر في الداخل وبحيطة أقل من تلك بكثير. كما أن تدخل بعض الجهات في القضية واتخاذ موقف معادي لها, أو تولد ظروف سياسية يقتضي من قيادة الثورة التصدي له والتهديد أو الردع ... كل هذا يقتضي وجود مثل ذلك الجهاز ووجود قيادة ميدانية له يرأسها عنصر قيادي مرتبط بالقيادة ومسؤولها مباشرة ومزود بالصلاحيات والإمكانيات اللازمة.

كما أن من الضروري إيجاد شعبة من الجهاز الخارجي متفرغة لبعض الأعمال الإعلامية لتحقيق الجهد المناسب مع مخطط إعلام الداخل, ولكن هذا الجهاز الخارجي بشقيه السياسي والإعلامي والعسكري يجب أن يبقى خاضعا للقيادة في الداخل ومؤتمر ا بأمرها. ولا يجب أن يتمدد حتى يكون غرفة استجمام رديفة تشجع عل ى الهرب من حرارة المعركة في الداخل أو نقطة ارتكاز للفارين والهاربين.

رغم أنه يجب أن يقدم العون للمضطرين للخروج لإعادة برمجة الإفادة منهم ضمن مخطط شامل, أو مساعدتهم ضمن نطاق المتضررين فكل قاعد في الخارج دون سبب متضرر وليس مجاهد ا أبد ا.

ولقد علمتنا التجارب الماضية دروسا هائلة تحتاج إلى كتاب مستقل لمرحلة تجربة العمل في الخارج, ولقد كان عملا فاشلا إذ أن الثورة برمتها انتقلت بكل كوادرها للخارج وما لبثت أن لفظت أنفاسها.

وعلى الرغم من ذلك فلم يكن لها القدرة على الردع العسكري حتى في الخارج كما مر معنا. وهكذا يجب أن يتنبه المعنيون في الأمر لضرورة مثل هذا الجهاز وضرورة التحكم به والسيطرة عليه ضمن مخطط استراتيجي شامل.

-51مشكلة التنسيق بين الأجهزة الجهادية الثورية العسكرية الثلاثة:

الجهاز المكشوف (القواعد), الجهاز غير المكشوف (العناصر المدنية), الجهاز الخارجي:

سرعان ما تتشكل نويات هذه الأجهزة الثلاثة إبان اندلاع الثورة والأحداث وهذا ما حدث في تجربتنا السالفة, ولم تشذ عن هذا المنطق الذي غالبا ما تسير الأمور بحسبه.

كوكبة من الشباب تفجر شرارة الثورة ويتلاحق نفر منهم فيختفي ويدير عمله القتالي من خلال قواعد سرية سواء في الجبال والغابات أو القواعد العسكرية في المدن, طائفة من المؤمنين بهذه الثورة المندلعة تلتحق بهم ولكنها بحكم عدم اكتشاف أمرها يكون عليها أن تمارس عملها الثوري من خلال حياتها اليومية العادية من دون أن تلتحق بالقواعد ويتشكل الجهاز الثاني. ثم ما تلبث الحاجة أن تطلب خروج بعض الأعضاء سواء لأهداف إعلامية أو عسكرية أو مالية أو سياسية أو حتى اضطرار ا وسرعان ما يتكتكل هؤلاء ويتشكل الجهاز الثالث خارج البلد الذي تدور فيه الثورة.

وهنا يأتي دور القيادة التي تحرك الأحداث لتثبت قدرتها على إدارة دفتها بتحكم لا أن تترك الأمواج تلعب بها. وفي الوقت الذي يتوجب فيه أن تكون قيادة العصابات الثائرة المجاهدة متواجدة في الساحة وضمن أحد الجهازين المكشوف أو غير المكشوف , فإنها غالبا ما تكون في القطاع المكشوف المختفي في القواعد السرية فإن استطاعت أن يكون بعض رؤوسها في غير المكشوفين فهي الحالة النموذجية ويتوجب عليها أينما كانت أن تضع المخطط الاستراتيجي أو مجموعة التكتيكات المتلاحقة لبرمجة عملها السياسي والإعلامي لهذه الأجنحة الثلاثة.

وعلى الرغم من أن المهام قد تتداخل في عمل متشابك من هذا الشكل -ونقصد العمل الجهادي الثوري- فإنه غالبا ما تتحدد مهام كل جناح في الحدود التالية :

أ-- الجهاز العسكري المكشوف والملاحق (القواعد السرية: (

وقد تكون هذه عبارة عن تشكيلات عسكرية تتواجد في الجبال والغابات الوعرة وتقيم لأنفسها معسكرات مؤقتة تنطلق منها لتنفيذ مهامها العسكرية وتكدس فيها لوازمها العسكرية والإدارية ...إلخ.
وقد تكون كما كان حال غالب الإخوة في التجربة السورية في قواعد عسكرية مغطاة بغطاء مدني (عائلة , معمل ..) داخل الأحياء السكنية حيث ينطلق منها المقاتلون لتنفيذ عملياتهم.
وغالبا ما تتواجد القيادة في هذه القواعد والمعسكرات ويقع على عاتقها مهمة بناء الأجهزة الرئيسية للعمل العسكري والسياسي والإعلامي وتأمين الاحتياجات, كما يقع على عاتقها بحكم أن غالب عناصرها من المدربين والمنفذين والأعضاء القدامى الموثوقين تنفيذ غالب العمليات العسكرية المعقدة من مستوى الكمائن والإغارات والأعمال المركبة الصعبة. ويشكل هذا الجناح قلب القوات الثائرة وقلب الهجوم. وعليهم تقع مهمة تنسيق عمل الجهازين الآخرين وكذلك مهمة التدريب العسكري.

ب -- الجهاز غير المكشوف (العناصر المدنية: (

وتتشكل في تشكيلات غالبا ما تكون مزيجا من الهرمية والخيطية ويمارس أصحابها حياتهم الاعتيادية اليومية (دراسة, عمل, تجارة, وظائف ...) ويكونون عادة أكثر عددا وأقل خبرة وأوسع انتشار.
ويقع على عاتق هؤلاء الأعضاء مهام الاستخبارات والرصد ونقل الأسلحة والأعتدة والذخائر وتأمين التموين لأعضاء الجهاز الأول وكذلك تنفيذ المخططات العسكرية وأعمال الاستطلاع والتصوير, وفي مجال التنفيذ ينحصر تقريبا عملها في مجال الاغتيالات العسكرية البسيطة وزرع العبوات الناسفة وما إلى ذلك من الأعمال البسيطة. وقد يشارك بعضهم في الأعمال العسكرية الكبيرة في حالة توافرخبرات نوعية فيهم. وترتبط قيادتهم التي يجب أن تكون شبه منفصلة أي لا مركزية بالقيادة العليا, ويجب أن تتمتع بصلاحيات كافية وعليهم تقع مهمة التعبئة الجماهيرية وتوزيع المنشورات والإشاعة الموجهة ومحاربة الإشاعة المعادية والإعلام المعادي ونقل صورة عن الأوضاع الحقيقية التي تدور في البلد لأولئك المتوارين أو المتواجدين في الخارج.

ج -- الجهاز الخارجي:

كما ذكرنا فإنه يتشكل بوحي من الحاجة والاضطرار ويجب السيطرة عليه وفرز قيادة على مستوى عالي الارتباط والتبعية والكفاءة من الذين لا يظن فيهم الركون لحياة رغيدة في الخارج.
وتنحصر مهامه في مجالات الإعلام والصلات وجمع التبرعات وتأمين الأسلحة والمعد ات (التكنولوجية) من الخارج وكثير من اللوازم وتهريبها للداخل. ويجب أن يتمتع الجهاز بقدرة عالية على الاتصال السريع مع قيادة الداخل, وأن يتبعها تبعية كاملة كما يجب أن يضم في تشكيله ذراعا عسكريا يوكل إليها مهمة رصد العناصر المعادية في الخارج ونشاطها وإرسال استطلاعات والاستعداد لتنفيذ بعض العمليات العسكرية ضدها إن لزم الأمر كعمليات استراتيجية أو إعلامية كما يجب أن يؤمن المأوى والعلاج لبعض المضطرين للخروج, من المقاتلين والمضطرين وتأمين عودتهم وإيوائهم.
وبعد هذه اللمحة الموجزة عن الأجهزة الثلاثة يجدر القول أنه لا تخفى عن المتبصر المطلع مدى الفائدة التي يمكن الحصول عليها من السيطرة بالتخطيط مركزيا على هذه الأجهزة الثلاثة وإعطائها حرية العمل اللامركزية لتفصيل مهامها .... وكذلك النتيجة الرائعة التي يمكن تحقيقها من إيجاد تناغم استراتيجي ضمن تخطيط مدروس بين هذه الأجنحة الأساسية الثلاث.

--61مشكلة الجهاز الفني:

نعيش في أواخر القرن العشرين وجدير بنا أن نسعى إلى إدارة حربنا على مستوى العصر وعلى مستوى ما يزج به أعداؤنا من إمكانيات بشرية وفنية في هذه الحروب, وأن لا نتابع إدارة حربنا على طريقة أعراب البوادي في الغزو, ضمن الممكن طبعا (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) وعلى

الرغم من صحة ما قلناه بأن العامل البشري هو الأول والأخير في الحرب الثورية إلا أنه يجب عدم تجاهل ما يمكن أن نوفره من إمكانات وخسائر مادية وبشرية إن استطعنا الإفادة مما وصل إليه العلم الحديث من تكنلوجيا الاتصالات والأسلحة الحديثة الرائعة.
وكلها إمكانات ومواد متوفرة في الأسواق العالمية ويمكن تأمينها وتأمين ايصالها لميدان القتال, ولعله من الواضح أن لهذا الأمر الذي لا تخفى تكاليفه المادية الباهظة أهميته الكبرى التي لم نفد منها في الماضي. وينبغي على قيادة المجاهدين تشكيل نواة هذا الجهاز ليقدم ضمن الإمكان اللوازم الفنية للمعركة ولقد قدمت تجربة الطليعة مثلا متواضعا رائعا عن سعيها في هذا المجال وتمكنت في بعض المناطق كحلب, من افتتاح معمل صغير لتصليح الأسلحة وتعديلها وقد تم تحويل بعض المسدسات العادية إلى رشاشة مثلا وتم إنتاج بعض القنابل اليدوية محليا ... وتطوير بعض هذه الأجهزة الإلكترونية بإمكانيات مادية ضحلة وعلمية محدودة ولكنه كان عملا مشكورا ورائعا.
ولقد فشل الإخوان المسلمون في مرحلتهم على الرغم من تشكيلهم لهذا الجهاز الذي كان طيلة الوقت بإدارة عضو قيادة هو أبو أنس بيانوني, فشل في تحقيق المطلوب منه على الرغم من مئات الأسفار التي قام بها مسؤولوه لأوربا والملايين التي أنفقت دون طائل .
ولم يتمكن من تقديم أي إمكانية فنية للمعركة ولا سيما أثناء حشد النفير, كما لم يستطع جهاز العمليات الخارجية التابع لنفس المسؤول القيام بأي عمل رادع رغم تطلب الظروف لذلك ولا تخفى الأسباب.
المهم على المتصدين للقيادة أن يفيدوا من هذه التجربة ويأخذوا هذا الأمر الهام بعين الاعتبار لحشد ما أمكن من طاقات لهذه المعركة المصيرية.
--71مشكلة التنكيل بالمدنيين ولا سيما أهالي المجاهدين:
لقد كانت هذه إحدى المعضلات ولاسيما في تجربة الطليعة أيام اشتعال العمل العسكري. فقد عملت الدولة نتيجة فشلها المتكرر في ملاحقة المجاهدين والحد من نشاطهم والعثور عليهم عمدت إلى قتل المدنيين والتنكيل بهم, وتطور موقفها إلى مجزرة للمدنيين بعيد كل عمل عسكري للمجاهدين حتى اضطرتهم لتوقيف عملهم لهذا السبب بدافع التذمر الشعبي الذي توجه جزء منه بالتهمة إليهم كما قامت الدولة بالاعتداء على أهالي المجاهدين ونكلت بهم وقامت بعدد من المجازرالجماعية جمعت فيها بعض أباء المجاهدين وإخوتهم وأعدمتهم ... وهنا يجب أن نقول انطلاقا من فهمنا لهذه الطرح الجهادي الثوري العسكري وتكاليفه, أنه على كل من يلتحق بهذا الدرب أن يعرف أن هذا من بعض الضريبة التي تلحق به وبأهله وبالشعب وقد اختار أن يدفعها في سبيل الله كما أن المجتمع بكامله والذي سار عبر قرون طويلة في درب أوصلته للاحتلال وقبوله, من المؤكد أنه سيدفع شيئا من الضريبة الدموية كثمن للحرية والعدل وإعادة حكم الإسلام. وبدلا من التفكير السلبي الذي وقع فيه بعض إخواننا وبعض أهلنا المدنيين والذي قادهم للتفكير في إيقاف العمل العسكري خوفا على المدنيين والأهالي كان عليهم العلم (ويجدر بنا أن نفكر) أن الحل الأمثل هو الردود الرادعة الشرسة التي تجعل الدولة تفكر بعدم اتباع هذا الأسلوب وترفع من معنويات المدنيين مرفقة ذلك بحملة إعلامية مبرمجة, لعلاج هذه الظاهرة. وعلى المجاهدين والشعب أن يختاروا بين أمرين : إما متابعة العمل وتحمل التضحيات وإما سلامة ذليلة يستعد معها النظام أن ينعم بها علينا إن أردنا واستسلمنا ولا نحسب أن هذه الظاهرة سلبية كلها.
يقول أحد كبار محللي حرب العصابات الأمريكان في دراسة حول بضعة عشر ثورة عصابات في مختلف بلاد العالم ما معناه (لطالما كانت شراسة النظام وبطشه بالأهالي بسبب فعل الثوار أكبر هدية قدمها للثورة والثوار, إذ عب أ الأهالي إجباريا في صفوف الثورة لما أثبته من الوحشية والدموية التي دفعت الناس حتى الحيادين منهم دفعا للالتحاق بالثوار لما يرون من عدالة طرحهم وظلم النظام) ....(عن كتاب حرب المستضعفين .... بتصرف) وهكذا يجب بناء الحملة

الإعلامية الجماهيرية بناء على هذا الواقع القذر للنظام الطاغوتي الذي سرعان ما يبدي استعداده لإراقة دماء الأبرياء لعجزه أمام ضربات المجاهدين ولا سيما نظام احتلال طائفي كالنظام النصيري لا يبالي أن يقتل أبرياء لا يعدهم من أبناء فئته العفنة.

-- 8مشكلة التمشيط والحصار:

دائما تحاول أجهزة الأمن والجيش التابعة للنظام الطاغوتي دفع المجاهدين للخروج من مخبأهم لصدامه علنا, بمعطيات غير متكافئة طبعا, لا عددا ولا عدة ليتخلص من الأسلوب الرائع الناجح الذي تمارسه العصابات في الكر والفر ... وفي حمى الهستريا التي تصيبهه يلجأ إلى سلسلة من أعمال الحصار والتمشيط بحثا عن المقاتلين والسلاح, وفي حين تشكل الجبال والغابات والمناطق الوعرة والامتداد الواسع للبلد عونا كبيرا للعصابات. كذلك امتداد المدن الصناعية وتعقد بنائها .. تقدم المدن الصغيرة والمتوسطة صعوبات جمة لمواجهة مثل هذه الأعمال التي تتم بهمجية لا تراعي حرمة ولا عرفا (ولا نقول دينا لأنه لا دين لطاغية ادعى نفسه ربا يشرع للناس ويحكم في أمرهم من دون الله). وقد حفلت التجربة السابقة بكثير من المواجهات التي واجه بها المجاهدون مئات عمليات التمشيط والحصار التي كانت تتم في قطاعات محدودة من المدن. وتطور الحال في بعض الأحيان إلى حصار وتمشيط مدن بأكملها (كما تعرضت حلب لهذا وحماة وإدلب والجسر ...) حيث زجت الدولة بعدة فرق مسلحة من الجيش بلغ تعدادها عشرات الألوف من الجنود لإغلاق المداخل والمخارج حول المدن واحدة إثر أخرى, وتولت المهمة وحداتها الخاصة وسرايا الدفاع بقيادة الضباط وصف الضباط النصيريين ليمشطوا المدينة ويفتشوا بيوتها واحدا واحدا على مدى أيام طويلة ذاق خلالها الأهالي مرارة الجوع والإرهاب والعسف. ولقد نجح المجاهدون خلال كل تلك العمليات في تفادي العاصفة وتجنب المواجهة الخاسرة ولم تسفر تلك العمليات عن العثور على المقاتلين ولا على أسلحتهم, إلا في حوادث صغيرة لا تكاد تذكر..

ولكن السلبية كانت في أن المجاهدين وبحكم ضعفهم وعدم قدرتهم على العمل المركزي لم يفيدوا من الظرف الخاص الذي اضطرت إليه الدولة, بتصعيد العمل في أماكن أخرى أو مهاجمة الجيش والقوات المحاصرة ليلا وفي أماكن ضعفها, فقد كان اختفاؤهم شاملا مما ترك أثرا سلبيا على الناس في هذه الناحية ومع ذلك فقد كان هذا أسلم نتيجة من التصدي للجيش ومواجهته مواجهة شاملة. كما أفادت التجربة بسقوط الرهان حول الجيش الساقط الذي أقدم فيه شباب الأمة على حصار أهلهم وترويعهم وحتى نهب أموالهم في هذه العمليات بإمرة المحتلين. ويأتي ذلك من الجهل العام ومن فشل المجاهدين في تعبئة الناس إعلاميا على مستوى واسع يشمل أفراد الجيش في قضيتهم.

ورغم هذه العمليات والتشديدات الأمنية التي كان منها ترك بعض الدبابات والجنود على مداخل المدن ومفارق الطرق إلا أنها لم تؤثر على وتيرة عمل المجاهدين عاد بأشد مما كان بعيد انتهاء الحصار الشامل وكانت تجارب رائعة تستأهل الدراسة.

-- 9مشكلة الصدام المكشوف:

أثبتت معركة حماة الشهيرة بما لا يدع مجالا للشك القاعدة المعروفة في خسارة العصابات المحاصرة لمعركة المواجهة والدفاع المتمركز في منطقة محدودة تركت لمصيرها دون تدخل قوات مؤيدة من الخارج, أو تحريك قوى لمناطق أخرى تستدعي سحب الجهد عن المجاهدين في مكان آخر .. ورغم أن المجاهدين في حماة د فعوا لذلك اضطرارا ضمن مخطط ناجح للدولة في جرهم للصدام, إلا أنه يمثل بالنسبة لنا درسا نافعا جدا يستأهل الدراسة المفصلة. ومما نفيد منه ما أعطاه من مثل حي على فشل المواجهة الشاملة قبل أوانها لا سيما إن انحصرت في مدينة واحدة.

فعلى الرغم من أن (أبا بكر-عمر جواد) رحمه الله قائد المجاهدين أيامها وزع أكثر من ثمانية آلاف بندقية آلية روسية على الناس صبيحة الانفجار, وعلى الرغم من اشتراك ما يقرب من ألف مجاهد وعدة ألوف من المدنيين في المعركة دفاعا عن المدينة, وعلى الرغم من تواجد السلاح عموما بين أيدي المدينين أصلا, هذا عدى ما قدمه المجاهدون, وعلى الرغم من تواجد الأسلحة

المتوسطة والمقاومة للدورع والرشاشات الثقلية لدى المجاهدين. لم تستطع المدينة أن تصمد, وافتقرت للذخيرة وذكر الناجون من المقاتلين أنهم افتقروا لأي سلاح يمكن به معالجة الدروع بعد أربعة أيام فقط من اندلاع المعركة! رغم أن التنظيم الذي قادها كان نوعا ما قويا فهو حصيلة أكثر من عشرة أعوام من التنظيم, وصاحب تجربة امتدت ثلاثة أعوام في مباشرة المعركة والاستعداد لها .. وهكذا ق صفت المدينة ود مر نصفها واستشهد معظم المجاهدين واضطر من بقي من المدنيين حيا لإلقاء أسلحتهم قبل اكتشاف هوياتهم واستسلموا طعمة للاعتقال, فاستبيحت المدينة وكانت المأساة.

ورغم أن خسائر العدو كانت فادحة أيضا, فإنه لا مجال للمقارنة والأمر واضح.

وما نريد قوله أنه على العصابات أن تعي أن حربها الطويلة هي حرب إنهاك وإزعاج أكثر منها حرب حسم عسكرية فعلى قادة الجهاد فهم حقيقة هذه الحرب ومطالعة تجارب الأمم ودراسة تجربتهم الخاصة لكي لا تعاد مثل هذه الأخطاء القاتلة والله الموفق.

ثانيا : من مشاكل العمل السياسي والإعلامي المسلح

الحرب الجهادية والثورية هي كغيرها من الحروب كما قيل بنت السياسة فهي قبل كل شيء طرح سياسي (أيديولوجي) الدوافع, أداته ووسيلته وطابع عمله هو العمل العسكري, ومهما كان العمل العسكري (الذي بدونه تفقد الثورة والحركة كل وزن لها وكل أمل في النجاح إلا برحمة الله.) مهما كان هذا العمل ناجحا فإنه إن لم يتم استثماره وفق رؤية سياسية واضحة, وما لم يتم منهجة حصاده عبر إعلام مدروس ومبرمج فإن تلك الدماء المسفوحة وكل تلك الطاقات المجاهدة تطيش في الرياح ولا نحصد منها إلا القاب المجد لشهدائنا ودموع ثواكلهم.

فيجب أن نوكد وألا ننسى أن طبيعة المعركة سياسية أصلا ولا يقل الجهد السياسي المبذول أهمية عن الجهد العسكري وإنما يجب الانتباه كما سنبين ذلك لاحقا أن على القيادة المجاهدة المقاتلة أن تصنع قرارها السياسي وخطتها الإعلامية بنفسها وتنطلق بها من الخندق وإذا نظرنا في خريطة التجربة الماضية التي نجدها متطورة إلى حد ما على الصعيد العسكري والدروس المستفادة منه, إلا أنها مختلفة جدا على الصعيد السياسي فلم يكن هناك جهود سياسية بالمعنى الدقيق ولا سيما على مستوى أقطاب الجهاد الحقيقي (الطليعة) ويبدو أنه من المنهجية تناول التجربة بالتحليل في قسمين لتباين طبيعة العمل السياسي في كل منهما. ونعني : تجربة الطليعة في العمل السياسي وتجربة الإخوان المسلمين فيه من الخارج.

أولا -- من تجربة الطليعة في العمل السياسي:

لم تمارس الطليعة عملا سياسيا أو مجهود ا سياسي ا بالمعنى الدقيق للكلمة.

وقد انحصر نشاطها طيلة فترات عملها المختلف بالجهود العسكرية, ولهذا نجد أن معظم الجهود راحت هدرا تقريبا ولم يفد منها إلا العبرة ولم تحقق الطليعة ما تصبو إليه من أهداف طبعا

لمشاكل متعددة مر بيانها- ولكن لا شك في أن إحدى تلك المشاكل كان ضعف العمل السياسي بل نكاد نقول انعدامه .

وما يمكن أن نلاحظه في هذا المضمار :

-- 1الافتقار لقيادة ذات رؤية سياسية واسعة قادرة على التنظير السياسي على مستوى الطرح والفكرة في بلورة منهج عمل ومجموعة من الأهداف والشعارات تلف حولها الجماهير العريضة التي أيدتها بكل عطاء, وكذلك على مستوى التعامل مع معطيات الساحة والمؤثرين فيها من جماعات وكتل وأحزاب ودول مجاورة منطلقين من فهم شامل لمكانة سوريا وقضية الصراع عليها وطبيعة اللعبة على المستوى الإقليمي والعربي والدولي.

-- 2على المستوى الإعلامي وهو جانب مهم من العمل السياسي, كان الإعلام الداخلي ضعيفا في حين انعدم في المجال الخارجي ولم تمارس الطليعة في الخارج أي نوع من الأعمال الإعلامية الناجحة.

وفي الداخل اقتصر الإعلام على مجموعة من البيانات ولم تصدر الطليعة كما ينبغي (إلا في وقت متأخر جدا فيما بعد) صحيفة أو مجلة خاصة بها وقد كان إعلامهم عبارة عن مجموعة من البيانات التي غالبا ما كانت مختصرة تطالب الجماهير (بالإضراب مثلا ?) أو أنها كانت بيانات إخبارية لتبين أو تنفي بعض العمليات, أما على المستوى التوجيهي والإعلامي السياسي فكان ضحلا جدا وقد قامت الطليعة ببعض البادرات الطيبة ولكنها كانت بسيطة ونعني بعض أشرطة الكاسيت التوجيهية.

كما أهمل الإعلام العسكري ونقصد بعض العمليات ذات الطابع والفائدة الإعلامية, وعلى الرغم من ذلك فقد قامت طلقاتهم الصادقة بعملية إعلام فطرية غير منظمة في تأليف القلوب من حولهم وإعطائهم بعض المكاسب لتعويض خساراتهم بضعف الإعلام والعمل السياسي .

--3تورط الطليعة بمرحلة لاحقة في العلاقات مع أنظمة الجوار وقد بدأ ذلك من قبول المساعدات من العراق دون قيد أو شرط (بعض كميات السلاح) وتطورت في الخارج بدائرة واسعة من ذلك عندما بدأت كوادرها الباقية بالهجرة خارج الحدود وقد تلقت الطليعة عدة ضربات من جراء ركونها للعلاقات مع تلك الأنظمة دون مخطط مدروس يأخذ بعين الاعتبار عمليا أنها في النهاية أنظمة لا تصنف في قائمة القوى الصديقة إن لم تصنف معادية مرحليا على الأقل. ولقد ساهم الإخوان إلى حد بعيد في حصار الطليعة في العراق ومنع المدد عنها كما بينا ولا سيما أيام حماة ولم تستطع الدبلوماسية الطليعية كسر الطوق.

-- 4و قعت الطليعة ممثلة في قائدها عدنان عقلة في فخ الوفاق كما سبق بيانه ونجحت خطة الإخوان الدوليين في حصرهم وعزلهم عن الداخل وسحب البساط من تحت أرجلهم وقد كانت خسارتهم في الوفاق أوضح دليل على ضعف دبلوماسيتهم ومستوى قيادتهم السياسية. صحيح أن السبب الرئيسي في هذا كان طيبة القلب كما عبر (أبو عمار) فيما بعد بقوله : (نحن قوم إذا خدعنا بالله انخدعنا, فالمؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم وقد سلمنا قلوبنا لإخواننا) ولكن لم يكن هذا بالمبرر الكافي فقد لعبت بساطتهم أمام (ميكافيلية) قيادة الإخوان في حينها على رأسهم عدنان سعد الدين في حصارهم إعلاميا ولم يفارقهم حتى دمروا تقريبا.

--5وأخيرا جاءت تجربة الصلح المأساوية التي أقدم عليها نفر ممن تبقى من الطليعة بعد دمار الجزء الهام منها واعتقال عدنان عقلة - فر ج الله عنه - لتثبيت مدى الفشل السياسي في عملية الحوار التي دارت بين بعض القيادين المتبقين والمخابرات السورية.

فمن ناحية أولى كانت محاولة الصلح فردية اتخذ القرار فيها جزء من القيادة دون الحصول على موافقة مجلس الشورى. ولم يمنح ذلك المجلس موافقته عليه فيما بعد وأدى هذا التشرذم وتباين وجهات النظر إلى انشقاق في الصف الذي لم يكن قد صحا من سكرة اعتقال الزعيم وخيرة عناصره. ومن ناحية أخرى وحتى على مستوى المقتنعين بالصلح والآملين فيه فقد سحبت الدولة

البساط من تحت أرجلهم باستدراجها لبعض العناصر من قواعدهم فيما كان ممثلوا المفاوضات يفاوضون في ألمانيا مما أضعف موقفهم جدا.
وهكذا تحولت عملية الصلح التي كانت أصلا منطلقة من موقف هزيل هو مفاوضة (بين منتصر ومهزوم لا يمكن لها أن تكون في ظروف مشر فة), تحولت لاستدراج, وتم حصار المفاوضين حتى سحبت كل الشروط والعروض وتحول الأمر إلى عملية استسلام مقابل العفو الفردي عن المستسلمين. وكان فشلا سياسيا تمثل في الإقدام عليه وفي إدارة الحوار, ولم يكن هذا إلا لضحالة المستوى بل وانعدام وجود الأكفاء على عموم المستويات وهكذا تعطينا تجربة الطليعة العبرة وإن كانت قليلة الدروس عن أثر انعدام الوعي السياسي أو تخلفه في حصار منجزات العمل العسكري وإنهاء أثرها مهما كانت من الكبر.
ثانيا -- من تجربة الإخوان في العمل السياسي:
كان محور عمل الإخوان في الخارج كله سياسيا تقريبا على تخلفه, ولم يحقق الإخوان بأنفسهم أي إنجاز عسكري على صعيد العمل في الداخل إلا إذا اعتبرنا حصولهم على بيعة من تبقى من المجاهدين -ونعني القيادة الميدانية في حماة ودمشق- وقيادة الضباط عملا عسكريا لهم. أما كل المحاولات القليلة التي تمت من الخارج نحو الداخل لإقامة رؤوس جسور عسكرية, أو تنفيذ بعض العمليات فقد كانت جميعها فاشلة على قلتها.
ولكن حصيلة الأمر أنه على الرغم من أن عملهم بشكل عام كان عملا سياسيا فقد كان متخلفا غير تابع لخطة متكاملة ولا يشرف عليه من يتمتع برؤيا واسعة لمعطيات هذه اللعبة ولعل أهم ما أفقده وزنه كعمل سياسي هو عدم استناده إلى عمل عسكري قوي طيلة المرحلة. ولو حاولنا تحليل التجربة السياسية بسرعة نلا حظ بعض الملامح:
-- 1الدروس الثمينة التي مرت به وأثبتت فشله كثيرا من الثورات في العالم. ونعني فشل إدارة الثورة من قيادة رئيسية سياسية تقيم في دائرة أمان (في الخارج تتخذ القرار) وتحرك قيادة فرعية ميدانية عسكرية في الداخل وهذا ما كان في الفترة التي تم بها التنسيق بين القيادة الميدانية في الداخل والقيادة في الخارج فيما سمي بالحسم, (سيأتي تفصيل هذا) فلم تستطع القيادة السياسية تجسيد أهداف المجاهدين وتحقيق آمالهم وكانت أعمالها في معزل عن ذلك ولخدمة أغراض لا تهم الجهاد والثورة كأهداف منشودة أصلا.
-- 2افتقار الإخوان إلى قيادة سياسية ناجحة (كما كان حال الطليعة أيضا), تفهم معطيات هذه اللعبة الخطيرة والمصيرية حيث كانت جل أعمالهم السياسية ذات طابع تكتيكي أديرت من قبل الشيوخ بلا مبالاة عجيبة ولم تكن مناورتهم السياسية استراتيجية اللهم إلا في حصار الطليعة.
-- 3التوسع في العلاقات مع أنظمة الجوار وغيرها بشكل منفتح وغير مدروس جعله ورقة لعب. ولم تكن هذه العلاقات توجه بطريقة تعطي الثورة زخمها وتفرض هويتها بل على العكس ولا سيما في العلا قات مع العراق ثم الأردن.
ولم يفد الإخوان شيئا على صعيد المنجزات من هذه العلاقات إلا الإيواء السلبي في حين حققت تلك الأنظمة ولا سيما العراق كثيرا من الإنجازات ونجح الجميع و هم المهتمون في هذه الظاهرة الخطرة في تدجين هذه الحركة الثورية وحصار أصحابها وشراء الكثير من موجهيها بصورة مباشرة أو تبريدهم في حر الخليج والسعودية.
- 4التورط في تحالف وطني فاشل وخاسر, وبصرف النظر عن رأينا بعدم الجواز الشرعي لما أقدم عليه الإخوان, وفشلهم في تقديم دليل وفتوى تدعم موقفهم طيلة خمس سنوات, فقد أثبتت الأيام والأحداث أنه حتى على الصعيد السياسي فقد كان خاسرا تماما إذ أفاد الحلفاء والذين كانوا مجموعة أصفار سياسية من بعض الشخصيات والأحزاب البائدة والمنبوذة ولا سيما البعثيين اليمينين, أفادوا من الحلف وعادوا للصدارة كمعارضة وطنية تغذت بدماء إخواننا, في حين لم يكسب الإخوان الذين افترض فيهم أن يكونوا الكتلة الرئيسية في الحلف والوزن المهم فيه, لم يكسبوا إلا إيوائهم بالإضافة لبعض الف تات من الدعم بالمال والسلاح في العراق مع كامل

التحكم بهم وبقواتهم القليلة المتبقية. وهكذا خسر الإخوان عنصرين استراتيجيين رئيسيين كان من الواضح جدا أنهم سيخسرونهما في حلف كهذا وهما :

أ -- الهوية الإسلامية للثورة ورايتها, فقد غدت الشعارات والطروح والأهداف قريبة من العلمانية مليئة بشعارات القومية العربية والقومية والحرية السياسية ... إلخ.

وصدرت معظم منشورات التحالف وكأنها من منشورات البعث, اللهم إلا ذكر أن دين الدولة هو الإسلام, كما تنص على ذلك كل الدساتير الكافرة في الحكومات المرتدة ولكن بوصفها تراثا ... فياللفخار.

ب -- القاعدة البشرية من الإخوة الذين غادروا الساحة حنقا على هذا الحلف فضلا عن سوء الإدارة وهكذا تاجرت القيادة بذكاء, فربحت صديقا مزعوما وخسرت ولدا بارا .. فياللحصافة!

وهكذا كان الحلف دليلا كبيرا على قصر النظر السياسي والدكتاتورية التي سيطرت على العمل حيث فرض نفر قلائل يعدون على أصابع طرف واحد, فرضوا رأيهم على جماعة كبيرة وورطوها بهذا العمل.

-- 5على صعيد الإعلام (على عكس الطليعة), فقد عزل الإخوان عن الساحة الداخلية حتى على صعيد الإعلام ولم يكن لهم أي إعلام داخلي ولم تصل مجلة النذير التي أصدروها بعيد الأعداد الأولى التي تولت الطليعة توزيعها أيام اختلاط الأوراق, لم تصل للداخل. ونستطيع القول أنه باستثناء الإذاعة الموجهة من العراق والتي فقدت هويتها الإسلامية لم يكن للإخوان أي إعلام ذي بال.

أما على صعيد الإعلام الخارجي فقد نجح الإخوان إلى حد كبير في التعريف بأن هناك ثورة إسلامية في سوريا وساعدهم امتداد إخوانهم في التنظيم الدولي على هذا الأمر وتكلمت عشرات المجلات الإسلامية عن الثورة وأجرى قادة الإخوان الكثير من المقابلات الصحفية والإذاعية مع مجلات دولية وتمت لهم اتصالات بالتجمعات والهيئات الحزبية الدولية وبمنظمات حقوق الإنسان ونستطيع القول أنهم حققوا إنتاجا في مجال الإعلام لا بأس به, ولكن وللأسف لم يعط ذلك العمل أكله بسبب انعدام الوزن العسكري الذي يدعمهم في الداخل فكان باهتا لا قيمة له. وقد أفاد الإخوان من هذا العمل وجمعوا الملايين من الدولارات من التبرعات, ولكن النهاية الفاجعة ومأساة حماة والتورط الهائل في الكذب والتهويل الذي ختم به الإعلام الإخواني جهوده أضاع الثمرة وسود صفحته وجعله محل استهزاء واتهام وأفشل ما كان قد أ نتج.

وهكذا لا نجد في التجربة السياسية للثورة الإسلامية في سوريا تنوعا وثراء كالذي وجدناه في الجانب العسكري, في حين نجد بعض الدروس العميقة والطيبة في أعمال سياسية فاشلة للفائدة والعبرة . ويمكن إجمال أن نستفيد من تلك المرحلة من العمل السياسي الثوري لفت النظر إلى عدة نقاط هامة فيه حيث يجب أن يأخذ أي عمل جهادي ثوري مسلح مثل هذه الأمور في حسبانه حتى يفيد من تضحياته ويرفع مردودها إلى أعلى المستويات :

-- (على صعيد الإعلام الداخلي يجب اتباع خطة يتزاوج فيها الإعلام السياسي (إذاعة موجهة - - مجلة دورية -- كاسيت -- فيديو -- بيانات ...) والذي يجب عليه أن يأخذ منحى توجيهيا لتثبيت بعض الأفكار في رؤوس الجماهير وتجسيد بعض الأهداف والشعارات والدوران حولها .هذا بالإضافة إلى النشاط الإخباري والتوجيهي وما يستلزمه الحال ... هذا الإعلام السياسي يجب أن يتزاوج مع الإعلام العسكري وأن يرفد كل منهما الآخر ويغذيه, فالإعلام العسكري هو مجموعة الأعمال العسكرية التي يتوخى منها هدف إعلامي مثل بعض الخطابات الجماهيرية المحروسة بالقوة إن تيسرت الظروف , عمليات اغتيال لبعض المجرمين والعملاء وإجرائها بشكل استعراضي, مهاجمة دوريات عسكرية في مناطق شعبية تهمنا جماهيرها ... كل هذا لتثبيت فكرة طول ذراع الثورة العسكرية وقدرتها على مجابهة النظام وإرداء عملائه.

وهكذا وبتزاوج الإعلام السياسي والعسكري الداخلي يحصل بإذن الله المردود الطيب في أوساط الجماهير .

- (وفي الإعلام الخارجي : يجب ممارسة خطة إعلامية مدروسة تتناسب مع الإعلام الداخلي وتكمله, فإنه وإن كانت الساحة الداخلية أهم وأجدر بالجهد فإن الساحة الخارجية تعد رافدا ممتازا للثورة في حال نجاح الإعلام والجهد السياسي فيها. حيث ن كتل القوى الإسلامية في الأقطار الأخرى حول الثورة فنفيد منهم في جهود كثيرة; في الصعيد المادي (تأمين تبرعات , التحاق متطوعين ...) وفي الصعيد المعنوي (جهود إعلامية) انتشار الفكرة الجهادية في صفوف الإسلاميين ... وهنا يجب الاهتمام بالتجمعات والكتل الإسلامية والإفادة من إعلامها الواسع (مجلات, ندوات, محاضرات, نداءات إغاثة, إدانة النظام عالميا ...) وعلى الصعيد العالمي غير الإسلامي, يمكن ممارسة الإعلام بالاتصال بالصحف ووكالات الأنباء وإجراء مقابلات مع الصحف العالمية, ولفت النظر للقضية الجهادية الثورية, وتعرية النظام ويجب هنا مخاطبة كل عقلية بما يناسبها. وهكذا نستطيع إن يسر الله الحصول على رأي عالمي مؤيد للقضية ولا يخفي ما يمكن جنيه من فائدة من وراء الاتصال بهيئات حقوق الإنسان وما شابهها لجني التأييد وإدانة النظام ومحاصرته سياسيا لإشعاره بالعزلة.

- (مواجهة الإعلام المعادي وحربه النفسية : من جانبه لن يقف النظام مكتوف الأيدي إزاء هذه الحركة الجهادية الثورية, بل سيعمل إلى مواجهتها بحرب إعلامية عسكرية ونفسية مركزية مبرمجة, ولا سيما تلك الموجهة للرأي العام الداخلي حيث يصف المجاهدون بأنهم عصابة مفسدة منشقة على الأمة إرهابية إجرامية وسيتبع ذلك بسيل من الإشاعات وممارسة الحرب النفسية. وهنا يساعد المجاهدين كثيرا سوء سمعة النظام واتصاف إعلامه بالكذب, وهذا يجعل مقاومة هذا الإعلام وحربه النفسية سهلة ولكنه يحتاج إلى جهود في نفس الوقت, ويجب أن يبني المجاهدون مخطط المقاومة هذا حسب الظروف وما يقتضيه وطبيعة النظام وهجمته الإعلاميه.

- (مشكلة تبني عملياتنا وسرقة جهودنا : ولقد تعرضت الطليعة لهذه المحنة التي شكلت مصدر تعب نفسي للمجاهدين ومصدر ضياع لجهودهم في نفس الوقت. وذلك حين عمدت قيادة الإخوان المسلمين وجهاز إعلامهم النشط إلى تبني عمل المجاهدين ونسبه إليهم و جمع التبرعات بإسمه وبناء صرح من المجد المزيف بفضل دماء الشهداء ... ومن بعد عمدت الأحزاب العلمانية المارقة عبر إذاعته الموجهة من العراق على العزف على نفس الوتر فكانت تسمى المجاهدين معارضة وطنية لإقحام نفسها كمعارضة وطنية في هذا المجد, ومن ثم بدأت تزعم أن عناصرها أيضا يشاركون في العمل بعد أن أتاح لهم الإخوان بفضل التحالف استخدام اسم (جيش تحرير سوريا .(

إن هذه المشكلة على ما يبدو من بساطتها جديرة بالاهتمام, والتصدي لها لن يكون ممكنا إلا بحملة إعلامية واسعة ولا سيما في صفوف الإسلاميين في الخارج مع الإنذار والتهديد والتصدي حسب ما يقتضيه ويسمح به الظرف لهذا العمل الجبان الذي يقوم به الآخرون على اختلاف مشاربهم. وفي الداخل يجب اعتماد مثل هذا الأمر ويجب برمجة أعمال تبني العمليات بشكل يقطع الطريق على سراق الثورات وتجار الدماء الشهيدة.

وفي الختام نقول إن أي جهد لا يكون مبرمجا فإنه ذاهب سدى لا محالة إلا أن يشاء الله, والإعلام مثله مثل العمل السياسي أوالعسكري آو التنظيمي يجب أن يقوم على استراتيجية شاملة في التخطيط تماشي الخطة العامة وتدعمها وتكون لها رديفا متمما عبر مجموعة من التكتيكات المقصودة لا العشوائية وأول ما يجب الانتباه إليه هو عملية تصنيف الشرائح التي نتوجه إليها بالإعلام ومعاملتها حسب ما تقتضيه كل حالة بحكمة فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :"أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم" الأمر الثاني هو الصدق; ويجب أن نحشد صدقنا الإعلامي في وجه أكاذيب النظام وزيفه ويجب أن نتوصل إلى حال يكون إعلامنا مصدر ثقة عند العدو والصديق لما يرون من صدقنا فيه فلا يجب التهويل في خسائر العدو ولا التقليل في خسائرنا وقصارى ما يمكن عمله هو السكوت عن أعمال وأشياء لا نريد التعليق عليها وترك التفسير للجماهير وإشاعاته الصديقة غالبا أما الكذب والتهويل فإنه وإن جاء ببعض الكسب

المؤقت فإن نهايته أن نوصف بالدجل وأن نتساوى في هذا مع إعلام النظام -كما حصل لإعلام الإخوان إبان حماة- وكفى بها من عبرة.

-- (على صعيد العمل السياسي : يجب الانتباه أولا إلى أننا جماعة أصولية من المسلمين نستند في عملنا كله إلى شرع الله الحق ونهدف من وراء ذلك إرضاءه سبحانه وتعالى وإقامة حكمه في الأرض وعليه فإن كل شاردة وواردة من عملنا يجب أن تنطبع بهذا الطابع ويجب أن يقوم العمل على سياسية شرعية محققة وفق ما يقتضيه الشارع ووفق آراء العلماء المسلمين الثقات وفتواهم.

ولهذا يجب باديء ذي بدء طرح مجموعة من الأسئلة الهامة في فقه الجهاد المعاصر لإشكالات معاصرة, وقد مر معنا خلال التجربة السالفة كثير من هذه المواقف, وكل هذا يجب نشره بين المجاهدين والجماهير حتى تطمئن القلوب وتستريح إلى العمل.

ومن ثم يجب أن تكون خطواتنا العسكرية متماشية مع مخططنا الاستراتيجي السياسي والعكس بالعكس, وبهذا نتجنب المطبات الصعبة كاندفاعات الجماهير التي لا يسيطر عليها نتيجة التصعيد العسكري مثلا -وقد حصل هذا مع الطليعة- وغيرها من الظروف السياسية التي تولد دون إمكانية السيطرة عليها أو توقعها مسبقا.

كما يجب الاهتمام بالطروح القائمة في الساحة والتي تدعي التصدي للنظام من تيارات علمانية ونصف إسلامية وتوجهات شوهاء والتصدي لها والكشف عن أمرها وتعريتها. يجب هذا وإن كان يبدو للبعض تبديدا للجهد وفتح جبهات جانبية, إلا أن الواقع قد أثبت أن تداخل الطروحات ولا سيما الإسلامية منها يوجب على المجاهدين الحقيقين شرح وجهة نظرهم في كل ما يطرح على الساحة والتدخل فيه وإن كان هذا سيفتح عليهم باب الصراع بين حقهم وباطل الآخرين. ولكن تكاليف هذا تبقى أقل من ترك الأمور مائعة يستعصي فهمها على الجماهير .

ولا على المجاهدين من ذلك فإن وجودهم على الساحة وطرحهم الصافي كفيل بدحر كل تلك الإعوجاجات إن شاء الله. ويكفي أن موقفهم في آرائهم تلك والذي يجب أن ينطلق من رأي الحق والشرع يجب أن يكون معلنا ليتميزوا عن كل تلك السبل المداهنة المدجلة. وهكذا نوجز القول : أن على القيادة الجهادية الثورية أن تتمتع بالحصافة والحكمة في تقدير الأمور والتوكل على الله أولا وأخيرا وأن تسلك الصراحة والصدق في طرحها مقرونا إلى العمل الجاد وسيكون النصر حليفها بإذن الله.

ثالثا : من مشاكل الصف الداخلي في التنظيم الجهادي المسلح:

مهما تراكمت المشاكل والصعاب في درب هو الصعوبة ذاتها فإنها تبقى صعوبات يمكن حلها في ظل وجود صف متماسك متين من النوع الإسلامي الجهادي الثوري الحق . فالصف الداخلي (القيادة والأفراد) هو رأسمال العمل وممثل الفكرة في أرض الواقع. وبناء على تركيبه وقربه من الخطأ أو الصواب يتوقف سير العمل كله.

وإن مما يزيد الأ مر تعقيدا أنه حتى يكون الأخ الملتزم مجاهدا وثوريا يجب أن يتحلى فوق التزامه وإسلاميته بشيء من المميزات الشخصية التي تتوفر فيه ولا تتوفر في غيره من الملتزمين حتى تؤهله لا تخاذ قراره الشخصي الهام بالانضمام إلى صفوف المجاهدين الثوريين ليسلك درب الصعاب والأهوال والفداء. ورغم ما يلعب الالتزام وفهم الإسلام الصحيح من دور في قرار المرء للإنضمام إلى مثل هذا العمل فإنه يبقى للتركيبة النفسية للفرد دور في اتخاذ مثل هذا القرار ويبقى بحاجة لدم ثوري متأجج.

ولقد تحدثت بعض الكتابات عن المواصفات النفسية للشخصية الثورية عموما وأثبتت التجربة الواقعية من الجهاد والعمل الثوري أن جانبا كبيرا من هذا المواصفات توجد في شخصية الثائر المسلم إلا أن ما يهذبها ويدفعها في طريقها الإيجابي هو الالتزام بالإسلام والشرع والأخلاقية الإسلامية....

فهذه النفسية الثورية التي أهلت صاحبها لأن يكون مجاهدا ثوريا رافضا للواقع حاملا للسلاح, لا تخلومن زوايا سلبية في قرارة نفسه البشرية, زوايا إن لم يحسن تهذيبها وضبطها يمكن أن تحدث الإشكالات بل الكوارث, فالرجل الثوري بطبعه غالبا ما يكون مثاليا في رؤيته للأمور, عنيدا في التمسك بآرائه ومبادئه, قصير النفس في معالجة المشاكل ميالا للتطرف, ميالا لحل الأمور جذريا وبالعنف, فدائيا مستعدا للتضيحة وعاطفيا متسرعا, سريع التأثر ..إلخ وهنا يأتي دور التعبئة النفسية والتربية المعنوية والتوجيه السلوكي في تحجيم سلبيات هذه النفسية الخاصة وتثمير إيجابياتها. وليس أفضل من الإسلام لمثل هذه المهمة لوضع الأطر الصحيحة للعلاقات وطريقة التعامل بقالب ينزل الجميع على حكمة راضين مسلمين تسليما...

ولقد أفادتنا تجربتنا السابقة وزودتنا بكثير من الدروس والتصورات حول مشاكل الصف الداخلي التي ظهرت خلال الفترة الماضية على تنوعها وثرائها ويجدر بنا أن نلفت النظر إليها لنفيد منها ونأخذ العبرة.

1-- مشكلة القيادة والشورى:

كانت مشكلة القيادة في الحركة الجهادية الثورية المسلحة التي نشبت في سوريا إحدى أكبر مشاكل ذلك الخط, ولعلها كانت في وقت من الأوقات وراء الفشل الذريع الذي أصاب العمل الجهادي. ولعل أفضل القيادات التي مرت في تاريخ تلك الحركة تلك التي لم تعمر طويلا واصطفاها القدر في خضم الأحداث ونعني قيادة الجهاد الأوائل.

فإذا نظرنا في تجربة الطليعة نجد أنها أنجبت عددا من الكوادر القيادية الميدانية الشابة التي استطاعت رغم قصر فترة مشاركتها في الأحداث أن تضرب مثلا رائعا في الإخلاص والفدائية والتفاني وقيادة الطلائع انطلاقا من ضرب المثل أمامهم في معايشتهم اليومية في ميادين المعارك, ولقد كان لهذا وقع السحر على نفسية المجاهدين الشباب و إقدامهم لما يرون من المثل الحي, ولقد عبر النقيب الشهيد إبراهيم اليوسف رحمه الله عن هذا بقول موجز يمثل لسان حال المقاتل الشاب في المعركة : ؛إن كنت إمامي فكن أمامي.»

ولكن للأسف لم تسمح طبيعة سير الأحداث بالشكل الذي مرت به بتبلور قيادة متينة مجربة تتحلى بالحكمة والسياسية والكياسة, إلى جانب ما تحلت به من الإقدام والتضحية, فقد اختارها القدر ولم يقدر للحركة أن تنعم بأولئك القواد الذين كان بالإمكان أن تصقل التجربة مواهبهم وأن يتخرجوا من الميدان أبطالا فدائيين يجمعون الفدائية والثبات إلى التجربة والخبرة ... وقدر الله وما شاء فعل.

فإذا نظرنا إلى تجربة العمل الجهادي بعيد هجرته وراء الحدود نجد نموذجين من القيادات التي ظهرت في تلك المرحلة : ففي الطليعة كان عدنان عقلة (فرج الله عنه) مثالا للقائد المقدام المضحي المتفاني, والثوري الأصولي الثابت على مبادئه ودربه كالجبل. وقد تمتع الرجل بمزايا شهد له بها العدو قبل الصديق وكان صاحب تاريخ جهادي عريق, وأسبقية في الدعوة إلى جانب خصال شخصية حميدة كتلك التي تجدر بقائد مثله, إلا أنه وللأسف لم يجمع إلى ذلك حكمة القائد وتعقل الحكيم. ولكم كان بحاجة لمثل هذه الحكمة والسياسة. ولقد أنصفه يوما أحد المنصفين من قيادة الإخوان المسلمين وهم قلائل في مثل موضوع كهذا قائلا : إني لا أشك بإخلاص عدنان عقلة كقائد ولا أشك بشجاعته في ذلك الإخلاص ولا أشك بافتقاره إلى الحكمة ليفيد من هذا الإخلاص وتلك الشجاعة.

وربما نلتمس للرجل عذرا بأنه كان وحيدا في ساحة قيادته, فقد ذهبت المعركة بمعظم شباب الطليعة الكوادر ولم يبق حوله في الخارج إلا لفيف من الشباب الذين يميزهم الإخلاص والاندفاع فقط, مضافا إليهم بعض الشباب الثوري المفتقر للنضج والذي أصبح في فترة من الفترات عبئا على عدنان وطليعته. ولقد اضطر عدنان فيما بعد إلى تشكيل قيادة ومجلس شورى وكان بينهم من لا يجدر بهم أن يكونوا أكثر من عناصر عاديين في سلك الحركة, لكنه دفع إلى إشراكهم في قيادته للحاجة ولقد صنعت المسؤولية من بعضهم كوادر مسؤولة ولم يكن ذلك كافيا, واضطر عدنان لإدارة الطليعة بأسلوب فردي كامل وكانت كل الأمور من عظيمها إلى حقيرها تتم برأيه ومشورته ولقد سل مت معظم الطليعة لعدنان وكان هذا إيجابية حملت الكثير من السلبيات فلم يكن عدنان يتمتع بحكمة القائد ولقد كان منهكا باستمرار لتراكم الهموم والمسؤوليات على رأسه ولمعاناته المستمرة من مشاكل الإخوان والأنظمة المجاورة ووضعه الداخلي وهموم بعده عن الساحة وهكذا أنهك الرجل واتسمت إدارته بالتطرف والعاطفية المفرطة والتشدد حتى في أمور عادية, وفقد القدرة على الديبلوماسية, ولم يستطع أن يخرج من القيد الإعلامي الذي كبله به الإخوان المسلمون, فحاصروه على صعيد الإسلاميين وعلى صعيد الأنظمة المجاورة فزاد هذا من مشاكله وحطمه في النهاية إذ ارتمى دون وعي وبدافع من رغبته المميتة في العودة إلى الداخل في الفخ الذي نصب له مستغلا هذا الجموح وراح ضحية ذلك. وهكذا أثبتت الأحداث فشله في ميدان السياسة والإدارة قياسا إلى ماحققه من نجاح على مستوى الثبات والفدائية والإقدام في العمل العسكري. ولقد أدى تمحور الطليعة حول شخصه إلى دمارها بدماره وسقطت شرائم بعد أن أسقط. وكانت هذه إحدى سيئات القيادة الفردية التي يجب الاعتراف أن أبا عمار دفع إليها دفعا.

وفي الطرف الأخر ونقصد قيادة الإخوان المسلمين نجد أنهم قد حملوا معهم إلى الخارج بعيد فرارهم نفس هيكلهم السابق ونفس قيمهم وتنظيمهم الداخلي, وأعيد تشكيل تلك القيادة التي دخلت لتعيش حالة حرب شاملة وصعبة حسب نفس الاعتبارات المشيخية السالفة أيام الدعوة والعمل المسجدي, حيث كان قصار ما يحتاجه القائد أن يكون شيخا خطيبا بهي الطلعة.

وهكذا فشلت القيادة المشكلة على الصعيدين معا, فعلى الصعيد السياسي والتنظيمي والإعلامي, لم تستطع القيادة أن تفرز كادرا قياديا يتمتع بسعة الرؤيا في هذا الخضم المتلاطم.

وعلى الصعيد العسكري كان فشلها ذريع ا إذ لم تستطع أن تضرب المثل في الإقدام والتضحية والثبات. لا بنفسها ولا بذويها كأبناء القيادة الذين وضعوا في الصف الأخير ودفع بهم لحياتهم الخاصة من دراسة وزواج ...في حين كان آباؤهم يخططون لمئات الشباب ليزجوا بهم في المعركة حيث يحبسونهم رهن الرباط في عمان وبغداد ولقد غدا هذا فيما بعد سوءة لا ستر لها, وكان كل الشباب يتحدثون بهذا مستنكرين, وفضلا عن ذلك أدى خوف القيادة من الإقدام في المعركة لا إلى إحجامها فقط وإنما للإمساك بزمام المقدمين من (الكوادر) العسكرية الشابة التي صارت تحت قيادتها, ولم تكن على مستوى قرار مسؤول بإطلاق أيدي هؤلاء الشباب في عمل عسكري فدائي جاد. ربما كان ذلك لعدم الثقة بهم, وربما لعدم قناعتهم بالمعركة أصلا. المهم أنها

فشلت في إعطاء المثل وكبلت كل إمكانية لبروز مثل هؤلاء القادة. ولقد برزت في صفوف الإخوان كوادر قيادية شابة كان لمعظمهم شرف المشاركة في الحقبة الماضية, ومن ثم نالوا تدريبا لا بأس به أه لهم للعمل ولكنها كانت خاضعة باستمرار لذلك التحكم الذي كبلها بالأغلال وأفقدها فاعليتها. انطلاقا من التزامها بالطاعة والثقة بالقيادة ...وفي هذه الظروف ظهر في الإخوان نماذج قيادية مختلفة فكان فيها الشيخ الذي يجمع حوله الشباب بطيبته وسلامة طويته وتجربته الدعوية الطويلة, وكان فيها السياسي الذي غدت اللعبة السياسية ورقته المفضلة مع الأنظمة ... وشيئا فشيئا تركزت محاور القوى في هذين التيارين, ومرت مرحلة سيطرت فيها النوعية الثانية فبرز ما سمي بمحور عدنان سعد الدين الذي كان رجلا داهية أمسك بزمام اللعبة بين يديه وراح يديرها على مزاجه وكان وراء كل ما حصل تقريبا في مرحلة الوفاق وحماة بالتعاون مع الشخصيات التقليدية. وعلى الرغم من دفع حسن هويدي إلى منصب القيادة الأول فقد كان ضعيفا واستمرت الأمور تجري حسب مشيئة محاور القوى وكان ذلك الوضع الذي تأزم وأفرز المشاكل والكوارث ثم دفع الجماعة للتفسخ فالانشقاق عام 6891. وهكذا نجد أن القيادات تراوحت بين ثلاث صنوف : رجل عسكري مقدام لم يعر السياسية والحكمة قسطها اللازم, وشيخ طيب لم تستطع الحرب الضروس أن تدفع الدم في عروقه, وسياسي داهية استغل كل من هؤلاء وهؤلاء لتنفيذ مآربه وتوسد القيادة ... وفي خضم تلك الظروف ماتت الكثير من (الطاقات) التي كان بالإمكان أن يدفع بها عبرالتوجيه الحسن والتجربة الثرية لتكون (كوادر) قيادية لمعركة المستقبل, ولكن قدر الله وما شاء فعل, وهكذا علمتنا التجربة مدى الحاجة لقيادة تتصف بحكمة حكيم وشجاعة مقدام لتخطط بروية وتعقل وتنظم بأناة وبصيرة, ثم تقدم على بركة الله أمام جندها ضاربة المثل والقدوة الحسنة, وعلمتنا أنه بدون قيادة من هذا المستوى سيظل العمل مترنحا بين مقدام متسرع ومتريث بصير جبان, ولن يكتب للحركة نصر إلا أن يشاء الله أن يهبها المعجزة.

أما مشكلة الشورى وهي مشكلة تابعة أيضا للقيادة وتمس الطبقة الأولى بعد القائد العام والتي يجب أن تكون رديف القائد في كل حركة وسكنة لتعطيه الرأي السديد ولتكون له عونا على اتخاذه, ثم لتشارك بكل كفاءة ومسؤولية في اتخاذ القرار وصناعته وتنفيذه, ولتكون إلى جانب القائد قدوة أمام المجاهدين في الإقدام والتضحية فماذا كان في تجربتنا؟

معروف في السياسة الإسلامية الشرعية أن لعلماءالمسلمين آراء متعددة في موضوع الشورى نجملها في نقاط رئيسية:

-- 1أنها مستحبة للأمير غير متوجبة عليه أصلا وهي كذلك في الإلزام غير ملزمة له يستأنس بها فإن ارتاح لها أخذ بها و إلا أنفذ رأيه, ويبدو أنه على هذا أغلب جمهور علماء السلف وقد نقل ابن تيمية مثل هذا رغم تنبيههم على أهمية الشورى وأنها دأب الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة من بعده وخيار الخلفاء وحكام المسلمين.

-- 2أنها واجبة على الأمير ولكنها غير ملزمة له في النهاية أي يجب عليه أن يستشير أصحابه ولكنه يقرر بنفسه ما وجد فيه الحكمة والمصلحة ولو خالف رأي أكثرية الشورى أو إجماعهم وقد ذهب بعضهم كابن عطية إلى أن الأمير الذي لا يستشير إطلاقا يعزل عن الولاية.

-- 3ذهب بعض المتأخرين من رجال الفكر الإسلامي إلى أنها لازمة على الأمير واجبة وكذلك هي ملزمة له أي أن على الأمير أن يلتزم رأي الأغلبية ويأخذ به ويستشهدون ببعض الأدلة التي يفسرونها بطريقتهم وهذا الرأي رغم شيوعه في الحركات الإسلامية عدوى فكرية دخلت على الفكر الإسلامي في مطلع هذا القرن عن طريق بعض المستشرقين ونتيجة التأثر بالنهج الديمقراطي الذي يعتمد التصويت ورأي الأكثرية. ويسود هذا المذهب الذي يثبت الدليل الشرعي عكسه اليوم معظم الحركات الإسلامية ولا سيما السياسية منها.

ولكن الذي حصل في تجربتنا السالفة أنه في الطليعة وتحت قيادة أبي عمار سارت الأمور بحيث تحكم أبو عمار في القرار بشكل فردي تقريبا ورغم أنه مارس الشورى إلا أنه أنفذ باستمرار ما

كان يراه بصورة كادت أن تفقد الشورى أهميتها وأصبح الكل لا يرى تقريبا إلا ما يراه الأمير وكان حسب رأيهم تطبيقا لمبدأ الشورى المعلمة.

وفي الإخوان المسلمين ميعت الأمور حتى غدا الأمير مجرد عداد أصوات في القيادة لا رأي ولا حزم. ولعبت مراكز القوى والتحزبات في القيادة وداخل مجلس الشورى دورا سلبيا أفقد الشورى هدفها وماهيتها وأصبحت الأمور لعبة أكثر منها جدا, في أمور تتعلق بها دماء المسلمين ومصير دينهم ....وكان على المراقب العام باستمرار أن يعد الأيادي المرفوعة لتقرير ما أسفرت عنه تلك المصارعات, وكان رأيهم أن هذا تطبيقا للشورى الملزمة. وهكذا ضاع في المرحلة السابقة أحد أهم مبادىء صنع القرار في السياسة الشرعية الإسلامية ونعني الشورى, وميع ولم يتقن ولم تعرف له حدود, وضاعت بالتالي إمكانية الإفادة من الديناميكية التي تحلى بها الدين الإسلامي, وكانت إحدى أكبر المشاكل (القيادة, والشورى.(

-- 2 مشكلة حدود الصلاحيات وتداخل المسؤوليات:

كان من أهم أمراض القيادة في المرحلة الماضية وعبر مختلف المراحل وفي كل الجماعات ولا سيما في جماعة الإخوان المسلمين (التي كان بناؤها الإداري ضخما متعدد الأجهزة) مشكلة حدود الصلاحيات وتداخل المسؤوليات فنظرا لأن الوسط الأخوي يسمح بالمراعاة في كثير من الأمور, تطور الأمر ليكون علة من العلل المزمنة في تلك الأجهزة, فكثيرا ما كان مسؤول يتدخل في صلاحيات مسؤول آخر, فيفتي ويقضي فيما ليس من شأنه, وت ش ك ل المسألة ويقع الحرج أمام القاعدة التي كانت تحار إلى أين تتجه بمشاكلها, ولقد سيطر هذا في جليل الأمور وحقيرها حتى المتعلق منها بأمر الداخل, وكان طبيعيا أن ترى عضوا قياديا على مستوى مراقب عام أو عضو مكتب تنفيذي يتدخل في شأن حقير على مستوى صرف معونة لأخ أو توزيع بطانيات الشتاء عى بعض العوائل, وأن ترى مسؤول مركز حلب يفتي في مشكلة أخ من مركز إدلب, وهكذا شكلت هذه الظاهرة مشكلة ص ع ب ت على الحل وعقدت لأجلها الاجتماعات الطويلة التي استطاعت حلها جزئي ا ولكن لم يقض عليها تماما إلا بتقنيات أوصلت العمل إلى شكل مؤسسات البنوك وبقيت كثير من الأمور بحكم سيطرة بعض الشخصيات وفعل مراكز القوى تخرق المعتاد بين حين وحين بتجاوز مسؤولية أو صلاحية بدون حق, ولقد فاقم الأزمة أن الجماعة بالخارج عاشت حالة سلمية مدنية وإن كانت تدعي بالاستمرار أنها في حالة حرب. ومعروف من تجربتنا أن حالة الحرب في الداخل لم تحمل الكثير في هذه الإشكالات التي تفسخت في الخارج كأمراض مستعصية وكانت بسبب حالة اللاسلم واللاحرب التي عاشتها الجماعة.

-- 3 مشكلة الرسوبيات الحزبية والعقيدية القديمة عند المجاهدين المتنوعي المشارب:

في ظروف الثورة والعمل المسلح يلحق بهذا الدرب لفيف مختلط من المخلصين, ومن الطبيعي أن الكثير منهم ينتمي لمدارس إسلامية دعوية أو مشيخية مختلفة, وفي ظروف المحنة العصيبة والحرب, توحد المصاعب والأخطار ووحدة الهدف بين هذا المزيج الذي آمن كل أفراده بحمل السلاح, ولكن فتور المعركة ولو لبرهة أو تعرض العمل لمفترق طريق خطير يحمل طابعا مبدئيا يفجر تلك الاختلافات المتأصلة بين العساكر وتدفع كل واحد للعودة إلى جذوره السابقة لينهل منها حلا أو تصورا بخصوص مشكلة واقعة. وبوجود تلك العقلية المتزمتة وتلك النفسية الثورية العنيدة تصل بعض المشاكل إلى اختناقات خطيرة ولا سيما في ظرف عصيب, ويظهر الشرخ واسعا والتباين خطيرا ليضع الثوار على حافة الإنشقاق أو ذر الرماد على ضغائن متأججة .. هذا التباين الذي قد لا يكون له خطره إن كانت المشكلة في الحجم العادي قد تضع الفرقاء على حافة شرخ وانشقاق خطير إن كان الأمر مهما ... ولقد كانت هذه المشكلة باستمرار مدار خلافات صغيرة لم تصل إلى الإنشقاق ولكنها ولدت الكثير من المتاعب. ولا شك أن حرارة المعركة تشد القلوب وتوحد الهدف وتعمق التآخي إلا أنه يجب عدم نسيان هذا الخطر الكامن. ولا حل له إلا بتوخي البحث عن النوعية المشتركة في الهدف أثناء التنظيم بشكل لا يهدد وحدة الصف في المستقبل وبممارسة نوع من التوجية والتربية المعنوية عبر العمل توصل المجاهدين إلى نوع من

الرؤية المشتركة للأمور العامة ولا سيما الفكرية والاستراتيجية منها, ويبقى علاج ما هو دون ذلك لحكمة القيادة التي يجدر بها وهي تحافظ على صفها أن تلتفت لمثل هذه المشاكل.

-- 4 مشكلة حياة القواعد العسكرية.

تعتمد القيادة في عملها على إيواء الملاحقين من المجاهدين المكشوفين في قواعد خاصة قد تكون في المدينة (بيوت مدنية), أو في الأرياف (غابات - جبال) على شكل معسكرات صغيرة ... وكغيرها من أشكال الحياة تجد هذه أيضا همومها ومشاكلها, ولقد واجهتنا خلال التجربة السابقة مشكلة حياة مجموعات الشباب المجاهد سويا في القاعدة في الداخل, أو في الخارج في قواعد البيوت (في الأردن أو في المعسكرات التجمعية التدريبية في العراق.(

ولا شك أن حياة القواعد في الداخل حيث أجواء الحرب والتوجف والخوف والقرب من الله لا تفرض كثيرا من المشاكل التي تظهر في القواعد والمعسكرات في حياة الأمن. وقليلة هي بالفعل تلك المشاكل التي أفرزتها حياة القواعد في الداخل على صعيد الحياة المشتركة باستثناء مشاكل مردها نفسي في غالبها كان يعاني منها الشباب الجديد في تلك الحياة (كالخوف, وفراق الأهل, والضغط النفسي) فإن الحياة كانت تبدو للآخرين رتيبة يقضي المجاهدون معظمها بين القراءة والتعلم والعبادة وبين إعداد السلاح ومدارسة الخطط وتنفيذ العمليات.

أما في قواعد ومعسكرات الخارج فكانت أهم المشاكل هي مشكلة الفراغ وما يولده من هبوط في المعنويات وما يثيره من إشكالات جانبية نفسية أخرى وهكذا تطل مشاكل فرعية برأسها في مثل تلك الظروف ويصبح من واجب القيادة الاهتمام إلى حد أكبر بالأفراد ومعايشتهم يوميا وإخضاعهم لسلسة من المحاضرات والدروس التوجيهية لمعالجة آثار تلك الظواهر التي قد تكون ذات بعد نفسي أو خلقي أو سلوكي في بعض الأحيان.

-- 5 مشكلة السرية والأمن الداخلي:

لقد كانت هذه ولا سيما في فترة العمل من الخارج إحدى المشاكل الكبيرة فلم تكن كثيرا من القرارات والتدابير السرية بحاجة لأكثر من أيام حتى تتفشى أخبارها في القواعد عن طريق سلسلة الأسرار بين الإخوة كل بمن يثق به, وهكذا كانت هذه الأمور المتسربة تفعل فعلها السلبي في كثير من الأحيان وتثير التساؤلات وتوجد المشكلات أمام القيادة التي كثيرا ما كان أقطابها أساس تسريب المعلومات. ولقد كان العديد من الإخوة على اختلاف مستوياتهم في بعض الأحيان يسرون بأعمالهم وأمورهم الخاصة لزوجاتهم وأصدقائهم الذين ينقلونها بالتالي لأصدقائهم الأعزاء عليهم, وهكذا كانت الكثير من الأمور التي يفترض أن تكون سرية عرضة للإفشاء وقد أثبتت بعض حوادث الكشف عن مخبرين وعملاء للسلطة مخترقين للصف أن كل تلك الإشاعات والأسرار والخلافات كانت سرعان ما تصل إلى أجهزة المخابرات التي زرعت أولئك العملاء. ورغم أن حياة الخارج لم يكن فيها إجمالا ما يمكن أن يكون في دائرة الخطر من الأسرار, إلا أن بعض الأدلة تشير إلى أنه حتى على مستوى القرارات الخطيرة كان هناك تسريب وصل في بعض الأحيان إلى المخابرات. كما لعبت الإشاعة المعادية نفس الفعل السلبي في كثير من الأحيان لفقدان السرية والحس الأمني, وهكذا تطرح مشكلة السرية والأمن الداخلي نفسها كواحد من المشاكل التي يجدر الاعتبار بها وممارسة كثير من التوجيه والحذر لعلاج آثارها في أي عمل جديد أينما كان.

-- 6 مشكلة العنصر الذي ارتبط التزامه بالقتال والحماس والشجاعة.

لم يكن من الممكن تميز هذه المشكلة في مرحلة القتال في الداخل فقد كان الصف يحوي بالفعل بعض العناصر التي التحقت ولا سيما من أوساط الجماهير ولم تكن قد مرت في مرحلة نضج كاف على صعيد الفكر والسلوك الإسلا مي, وإنما كان التحاقها بسبب التعاطف والتأثر أو الشجاعة ... إلى آخره من أسباب فرعية, وفي مرحلة القتال لم تكن لتظهر على هذه العناصر ظواهر سلبية بحكم ما تفرضه أجواء المعركة من التزام وانضباط, إلا أنه وبالخروج وراء الحدود وبرود دوافع الحماس والقتال والشجاعة ودخول المجاهدين محنة الهجرة والصبر

والرباط والمصابرة, انكشفت كثيرا من النفسيات على حقيقتها وعادت شيئا فشيئا لسابق سلوكيتها قبيل التحاقها بالصف, وظهرت بعض التجاوزات الخلقية والسلوكية بل وبعض الممارسات اللا إنضباطية من بعض العناصر.

وشكل أمثال هؤلاء عبئا علي قياداتهم فمن الناحية الأولى كانوا ملزمين بهم وبإيوائهم لسابق تجربتهم حتى لا يقعوا فريسة للعدو أو الفساد, ومن ناحية أخرى يشكل إبقاؤهم في الصف مشاكل جانبية لا تحمد عقباها ...وقد عولج الكثيرون منهم بأناة وعلى مراحل طويلة واضطرت قيادتهم في آخر المطاف لفصلهم عن الصف وقد انحرف بعضهم ... فكانت هذه إحدى المشاكل التي تلفت النظر إلى ضرورة حسن الخيار المبني على صفات ثابتة في المرشح للتنظيم وفي معالجة مثل هذه الظواهر فيما بعد بحزم وحكمة.

-- 7 مشكلة النفسية المدنية وصعوبة تأقلمها على العمل العسكري:

يتألف البناء البشري لأي ثورة مسلحة من كوادر مدنية في الغالب, ولا سيما من قطاع المثقفين والعمال وفئات أخرى من أبناء الشعب, وبحكم حياتهم المدنية التي اعتادوها يواجه هؤلاء الثوار الجدد مشاكل نفسية وبدنية كبيرة في تأقلمهم على العمل العسكري, فهذه الحياة التي غالبا ما ينخرطون فيها فجأة أوبشكل اضطراري تتميز على عكس الحياة التي ألفوها, بالخشونة والإجهاد والفاقة والصعوبة, ومن هنا نعي ماللتربية والتوجيه النفسي والمعنوي من أهمية تزود صاحبها بالقدرة على المقاومة وتحمل الظرف الجديد ويبرز دور الشحن النفسي اللازم لتلك النفوس لتعبئتها وتصديها لهذا الدرب الذي كثيرا ما تحدث القرآن الكريم عنه كدرب ملؤه الصعاب والبلاء, والنفسية المدنية بحكم تكوينها ميالة للرخاء والنعومة والرتابة والتنظيم في حين تختلف عنها حياة الحرب ولا سيما الحرب الثورية في كل هذا, وكذا يجد المرء نفسه وفجأة أمام هذه التغيير النوعي الشديد فيعاني مرارة التغير التي لا يثبت فيه راضيا مختارا إلا أولئك الذين وعوا الدرب وتكلفته ودخلوه عن سبق إصرار وتصور -ثبت الله قلوبهم- وهكذا تثير هذه المشكلة التي واجهت الكثير من إخواننا ووضعت قيادتهم أمام حرج وصعوبات كبيرة في إعدادهم تشير إلى ضرورة التعبئة الإيمانية والعقيدية التي تخفف من وطأة هذه المشكلة إلى حد كبير بل وتحولها إلى متعة شخصية في غالب الأحيان.

-- 8 مشكلة التنظيم المتمدد أفقيا صعب الضبط والإدارة:

وقعت الطليعة بعد قرارها فتح باب التنظم أفقيا أمام الجماهير المسلمة المؤيدة في هده المشكلة حيث تمدد التنظيم بطريقة غدا بها غير مسيطر عليه فلم يكن لدى القيادة إمكانية تعبئة هذه الكوادر الجديدة ولا دراستها وتوزيعها حسب الكفاء ة والمواصفات, ولا تسليحها وتدريبها وإشراكها في المعركة والإفادة منها .. الخ ولقد كان الدرس قاسيا إذ حمل الظرف الصعب معه مأساة كبيرة لهؤلاء الشباب الأغرار المخلصين وراح معظمهم ضحية الإعتقال كما رأينا.

وهكذا تفيدنا التجربة وتعلمنا ضرورة ضبط الامتداد التنظيمي بشكل يسمح بالتحكم فيه باستمرار وعدم الوقوع بحالة الانتشار التي يستحيل معه على القيادة أن تلم عناصرها فتحميهم وتملك قيادهم والإفادة منهم.

-- 9 قضية التربية والتوجيه المعنوي والإعداد والمنهج:

إذا كانت الذخيرة البشرية للتنظم هي رأسماله الهام, وإذ ا كانت قوته تقاس بمدى تماسك هذه القاعدة الصلبة التي تتحرك القيادة لتحقيق الأهداف التي تطرحها فإن قضية التربية والتوجيه المعنوي الذي يفترض بالقيادة أن توليه أولى اهتماماتها, وقضية الإعداد بكل أشكاله النفسي والمادي والتدريبي وقضية المنهج الذي يجب أن تربي أفرادها عليه. إن هذه القضية تأتي ولا شك في طليعة القضايا الهامة والمفصلية التي يجب أن توليها القيادة الحكيمة أولى اهتماماتها فبدون إيجاد قاعدة صلبة للتنظيم تفرز كادرا قياديا مسؤولا وواعيا لأمر حركته الجهادية وثورته ومبادئها ومعطياتها ومشاكلها وما إلى ذلك وبدون إيجاد (كادر) بشري مؤمن بهذه الطروح

والأفكار يستحيل على القيادة الجهادية تعبئة طليعة قوية يمكن الاعتماد عليها لتعبئة الجماهير فيما بعد وتوجيهها لخدمة الفكرة والهدف.
ولقد كان المجاهدون الأوائل من تلاميذ مروان رحمه الله مدركين لأبعاد قضيتهم الجهادية فكرا وعملا .. وكانت الطريقة الانتقائية في التنظيم الصغير عاملا مساعدا على تماسك الحفنة الطليعية الأولى من الشباب. ولكن تسارع الأحداث واتساع التنظيم واستشهاد معظم تلك الكوادر الناضجة في الجولة الأولى من المعارك ملأ الصف بكوادر شابة لا يميزها إلا الإخلاص والاندفاع. ولم تسمح أجواء المعركة للقيادة بممارسة عملية بناء وتكوين تلك الكوادر, ثم انتقل معظم الناجين للخارج وفشلت القيادات (التي آلت معظم هذه الجموع لقيادتها) في تعبئتها وتربيتها وتكوينها على المدى الطويل رغم توفر الظرف والزمن والطاعة في القاعدة ..
فلم ي ت بع في الخارج -وقد تساوت في ذلك كل الجماعات- أي منهج مدروس ومنسق لإعادة عملية التربية والتكوين والتوجيه المعنوي وفق منهج معد يأخذ بعين الاعتبار الهدف وطبيعة المعركة وترك هذا الأمر كما تركت كثير من الأمور يكون الحبل فيها على الغارب وهكذا تفشى الجهل واللامبالاة وتنوع الأراء وأصبحت القاعدة مزيجا من الشباب الذي ينقصه البناء الفكري الذي يكمل ذلك الاندفاع الهائل الذي تحلى به غالبية الشباب وبرد الاندفاع مع الزمن لدى الكثيرين الذين لم يعد يربطهم بهذا الخط رابط.

--01 أزمة الثقافة:

كانت هذه المشكلة حصيلة المشاكل التي تراكمت عبر الزمن على كل المستويات ولقد بدا فعل هذا المرض الخطير كامنا في الأيام الأولى مقتصرا على عدم الثقة الذي بدا واضحا بين الفرقاء والجماعات بعضها البعض. ولكن سير الأحداث على الشكل الذين سارت فيه, والعاصفة التي هبت أبان أحداث حماة وانكشفت أوراق القيادات (خاصة في صف الإخوان المسلمين), ثم دمار الطليعة والظرف (الدرامي) الذي أحاط به, كل ذلك أورث الجميع عدم الثقة في أي شيء, ودفعة واحدة انهارت كل الخيوط الباقية من الثقة بين الناس فانعدمت الثقة عى كل المستويات, بين شخصيات القيادة أنفسهم وبين القيادة والقاعدة وبين شباب القواعد على اختلاف مراتبهم وأصبحت هذه القضية معضلة المعضلات أمام أي شكل من أشكال الإصلاح ورأب الصدع من جديد.
لقد كان لتحطم المثل الأعلى والضريبة الغالية الفادحة التي دفعتها تلك الجموع من جراء ثقتها العمياء التي تعاملت بها مع القيادة ورموزها عبر الأحداث, رد ة فعل عنيفة جعلت هذه الثقة تكاد تكون مفقودة, هكذا أصبحت هذه إحدى أكبر الأزمات أمام أي عملية من أعمال الاستقطاب بغية الإصلاح ومتابعة السير وفق طرح صحيح جديد, وهكذا كانت هذه المشكلة المعضلة حصيلة كل تلك الأزمات .
وفي ختام هذا الباب نقول :
إن تجربة ثرة من العمل الجهادي الثوري المسلح, كالتي مرت بها سوريا والحركة الإسلامية فيها طيلة أكثر من خمسة عشر عاما أعظم من أن تحيط بمشاكلها ودروسها وعبرها هذه الصفحات القليلة. ولن يكون من كبير الفائدة مزيد من الإطالة والتفصيل في هذا الكتاب الذي يستهدف مواضيع أخرى قصدنا إيرادها بهذا الترتيب والسياق ولا شك أن بعض الأبواب والفقرات التي مرت تحتاج كل واحدة منها إلى وقفة تأمل طويلة ممن يزمعون المسير في درب كهذا الدرب فهي تجارب دفع ثمنها زكي الدم المجاهد, ولكن حسبنا -والله أعلم- ما عرضنا من الإيجاز لتاريخ المرحلة السابقة وبمقدماتها التاريخية ومن ثم نظرات في تلك التجربة ومن بعد بعض الدروس والعبر التحليلية لننقل للبحث التالي في الكتاب وحصيلة ما أفدنا منه شخصيا وهي نظريات قد يوافقنا فيها البعض وقد يخالفنا فيها آخرون وهذا أمر طبيعي فهدفنا منها إثبات قناعاتنا التي تمخضت عن معايشة تلك التجربة بمختلف مراحلها ومعايشة الكثير من شخصياتها الفاعلة على أكثر من مستوى, والله الموفق.